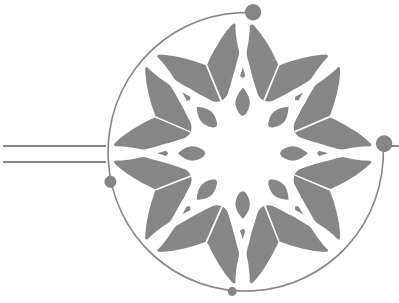

الفصل الأول
مدخل في التربية

أهداف الفصل الأول:

يهدف الفصل إلىٰ تزويد القارئ بمفاهيم واتجاهات ومهارات عامة عن التربية.

أما تفصيلاً: فمن المتوقع بعد قراءة هذا الفصل أن يكون المربي الداعي إلىٰ الله قادرًا علىٰ:

١) التعرف علىٰ ماهية التربية.

٢) التفريق بين التربية وغيرها من المفاهيم المرتبطة بها؛ مثل: التعليم، الدعوة، التزكية، السلوك.

٣) تحديد طبيعة التربية من حيث كونها علمًا أم فنًا.

٤) توضيح أهمية التربية علىٰ كلٍ من الفرد والمجتمع.

٥) الكشف عن وظائف التربية إجمالاً وتفصيلاً.

٦) بيان أهم غايات التربية وأهدافها في المجتمع المسلم.

٧) التعرف علىٰ مصادر التربية الإسلامية.

٨) تحديد مجالات التربية وجوانبها.

٩) التمييز بين أنواع التربية.

١٠) التعرف علىٰ أبرز مهمات التربية للمؤسسات التربوية في المجتمع.

١١) تحديد أهم أساليب التربية المناسبة للتعامل مع مختلف فئات المجتمع.

١٢) عَدُّ بعض أعلام العلماء المسلمين في المجال التربوي.

١٣) تصنيف كتب التراث الإسلامي حسب مجالات التربية.

١٤) استنباط أهم مظاهر تربية الشخصية المسلمة في جوانبها المختلفة من المنظور الإسلامي.

كما يهدف الفصل إلىٰ قياس الذات في ضوء أنشطة يعبر عنها بالأسئلة الآتية:

أنشطة إثرائية للعصف الذهني:

- هل وردت التربية أو إحدىٰ مشتقاتها في القرآن الكريم؟
- ما أهم مرادفات التربية من منظور الإسلام؟
- هل التربية نظرية أم تطبيق؛ علم أم فن، وما الغاية من كل منهما؟
- هل التربية عملية فردية؟ أم اجتماعية؟ أم ثقافية؟ أم نفسية؟
- هل ترتبط التربية بماضي المجتمع وحاضره ومستقبله؟ أم تُستورد من خارجه؟
- هل ترتبط التربية بحاجات المتربين ودوافعهم وقدراتهم؟ أم تُفرض من المربين؟
- إذا كان لكل مقام مقال، ولكل عالم طريقته وأسلوبه، فما أهم الأساليب التربوية التي تتبعها أو تراها تجدي نفعًا في التعامل مع الناس -حسب مراحلهم العمرية، وطبقاتهم الاجتماعية، وتوجهاتهم الفكرية- لحل مشكلاتهم الاجتماعية؟
- اذكر عددًا مما حفل به التراث الإسلامي من مؤلفات في التربية.
- قدّم الإسلام للبشرية نظرية أو فلسفة تربوية تتسم بالشمولية والتكامل في شتىٰ ميادين الحياة، ناقش هذه العبارة في ضوء كل من مصادر التربية الإسلامية وأهدافها وجوانبها.
- ما علاقة المفاهيم بين التربية والمصطلحات الآتية: التعليم، التعلم، التدريس، العلم، المعرفة، الدعوة، الخبرة، المجتمع، السلوك، الطبيعة الإنسانية، الحضارة، الثقافة، التغير الثقافي، الفراغ الثقافي، الإحلال الثقافي، الغزو الثقافي، التغريب الثقافي،

الانحراف الثقافي، التنوع والتعددية الثقافية، التنشئة الاجتماعية، التطبيع الاجتماعي، الضبط الاجتماعي، الضغط الاجتماعي، التفاعل الاجتماعي، الحراك الاجتماعي، التكيف الاجتماعي، الاغتراب الاجتماعي، التغير والثبات الاجتماعي، التربية الإسلامية، أصول التربية الإسلامية، الأصول الإسلامية للتربية، تاريخ التربية الإسلامية، فلسفة التربية الإسلامية، الفكر التربوي الإسلامي؟

تمهيد:

من المسلَّم به أن أي مجتمع إنما يتكون من أفراد (بشر)، يعيشون في مكان واحد (أرض)، ويشتركون في نمط معين للمعيشة (ثقافة)، ولديهم شعور مشترك بالانتماء والولاء (هوية) لهذا التجمع ونمط الثقافة المشترك. ومن الضروري لجملة هؤلاء الأفراد -الذين يتشكلون في مؤسسات أو هيئات أو جماعات أو في أي صورة من صور البنية الاجتماعية- أن يكونوا علىٰ قدر من الثقافة والوعي التي تؤهلهم لتحقيق أهداف المجتمع؛ الأمر الذي يدعو إلىٰ ضرورة وجود مسؤولية تربوية لبعض مؤسسات المجتمع، إن لم يكن جميعها يعمل علىٰ تهيئة أفراد المجتمع وتثقيفهم ليقوموا بمسؤولياتهم وواجباتهم بالمجتمع.

لذا كانت التربية -علىٰ مستوىٰ التطبيق- عملية عرفتها كل المجتمعات عبر التاريخ الإنساني؛ وذلك علىٰ اختلاف درجات تلك المجتمعات من النمو والتعقيد. ولم يكن الاهتمام المستمر بالتربية إلا لكونها ضرورة إنسانية ودينية واجتماعية وثقافية، ارتبط وجودها بوجود الإنسان ذاته علىٰ الأرض واستقراره فيها. وقد ارتبطت التربية بوتيرة المجتمعات وطبيعتها خلال العصور المختلفة؛ فنمت بنمو المجتمع، وتعقدت وتشابكت عناصرها ومؤسساتها وأهدافها ومحتواها...إلخ حسب طبيعة المجتمع.

وبذلك، لم تستطع التربية أن تعزل نفسها عن المجتمع الموجودة فيه، كما لم تستطع أن تنأىٰ بنفسها عن جملة التغيرات الحادثة به؛ فوجدت نفسها تسير في نفس الطريق الذي يسير فيه المجتمع، إن لم يكن برضاها فقهرًا وقسرًا، وذلك حتىٰ لا

تتخلف عن مجتمعها في الوقت الذي يناط بها قيادة التغيير في المجتمع، هذا بالإضافة إلىٰ أن الإنسان نفسه -وهو موضوع التربية من ناحية، والقائم علىٰ المجتمع من ناحية أخرىٰ- كان أحد جوانب التغيير في المجتمع، كما كانت هي وسيلة ذلك التغيير في الوقت نفسه.

أما علىٰ مستوىٰ النظرية، وإزاء السعي نحو تأطير ما سبق من أهداف ومسؤوليات وممارسات، فقد ظهرت التربية -بصفتها علمًا حديثًا- في ثوب جديد مثل غيرها من العلوم الحديثة المرتبطة بها؛ كعلم الاجتماع، وعلم الإنسان أو الأنثروبولوجيا[1]، وعلم النفس أو السلوك. وظهور التربية علىٰ هذا النحو يعد ضرورة لتوزيع المهام بين أفراد المجتمع في إطار من التخصص والالتزام.

وتفصيلاً لما أُجمل بهذه المقدمة، قسَّمنا هذا الفصل إلىٰ أربعة مباحث علىٰ النحو الآتي:

١. **المبحث الأول: مقدمات في التربية.**

٢. **المبحث الثاني: التربية الإسلامية.**

٣. **المبحث الثالث: أصول التربية الإسلامية.**

٤. **المبحث الرابع: التربية في التراث الإسلامي.**

(١) الانثروبولوجيا: هو العلم الذي يختص بدراسة السلوك الإنساني في الماضي والحاضر.

المبحث الأول
مقدمات في التربية

ويسعىٰ هذا المبحث إلىٰ التعريف بالتربية وطبيعتها، وبيان أهميتها علىٰ الفرد والمجتمع، والكشف عن وظائفها وأهدافها، وتحديد مجالاتها، وسرد بعض مؤسساتها، وتناول أهم وسائلها أو أساليبها. وفيما يلي توضيح ذلك:

١ - مفهوم التربية:

يتضمن **مفهوم التربية** في اللغة دلالات عدة، وإن كان يشير جميعها إلىٰ ما ينبغي أن تتضمنه التربية من ممارسات، وما يجب أن تستهدفه من غايات.

١. **فتأتي التربية بمعنىٰ الإصلاح والتوجيه**؛ إذ معنىٰ ربَّ الشيء أي: أصلحه ورعاه واعتنىٰ به وأحسن القيام إليه ودبَّر أمره؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله جل جلاله: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ﴾ [النساء: ٢٣].

٢. **وتأتي بمعني النماء والزيادة**، وفي هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[الحج: ٥]. وقوله عز وجل: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[البقرة: ٢٧٦].

٣. **وتأتي التربية أيضًا بمعنىٰ الرعاية والتعهد بالعناية**؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء: ٢٤]، وقال تعالىٰ علىٰ

لسان فرعون مخاطبًا موسىٰ عليه السلام بعد أن نشأ وتربىٰ في بيت فرعون: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨]، وكما قال تعالىٰ علىٰ لسان يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾ [يوسف: ٢٣].

٤. **وقد تعني الحكمة والعلم والتعليم**؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩]، وتعلِّمون هنا بمعنىٰ تفهِّمون.

وعلىٰ هذا، فليست التربية والتعليم بمعنىٰ واحد؛ حيث تشمل التربية جوانب الشخصية كلها مستعينة في ذلك بمؤسسات متعددة ومتنوعة، ومنها التعليم الذي قد يكون مقصورًا هو ومؤسساته علىٰ تحصيل معرفة أو اكتساب مهارة أو تنمية قدرة، وعلىٰ هذا فبين التربية والتعليم فرق يرجع في أساسه إلىٰ الاختلاف في الهدف والمؤسسة التعليمية أو التربوية، الأمر الذي يمكن معه القول: إن التربية أعم وأشمل من التعليم.

أما المفهوم الاصطلاحي للتربية: فثمة تعريفات عدة للتربية منها:

١. هي: تلك العملية التي يمكن من خلالها تنمية كافة جوانب الشخصية الإنسانية، وتوجيهها وترقيتها للاستفادة منها في بناء المجتمع والمحافظة علىٰ هويته الثقافية.

٢. هي: جملة الخبرات التي يمر بها الإنسان من بداية حياته حتىٰ نهايتها، وتعدل سلوكه إلىٰ الأفضل.

٣. هي: عملية تنمية الإنسان تنمية شاملة متكاملة مستمرة استمرار الحياة نفسها.

٤. هي: عملية تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها: روحيًا وعقليًا ووجدانيًا وخلقيًا واجتماعيًا وجسميًا؛ بصورة تمكنها من التكيّف مع البيئة الاجتماعية التي تعيش فيها.

٢ – طبيعة التربية:

تثير كلمة (**التربية**) استفسارات عن طبيعتها وأهدافها وخصائصها؛ ومن ذلك **سؤال:** هل التربية علم يتمتع بقواعد وأسس معينة مثله في ذلك مثل أي علم آخر من العلوم؟ أم أنها فن من الفنون يجب تعلم المهارات الخاصة به حتىٰ نتمكن من اكتسابها؟

والجواب أن الفارق بين العلم والفن فارق جوهري من حيث الدرجة والكيف والهدف؛ فإذا كان من أهم خصائص العلم: وجود قوانين تفسر العلاقات الدائمة بين الظواهر تجاه موضوع معين، فإن الفن تنحصر أهميته في تطبيق قواعد العلم وقوانينه. ومعنىٰ هذا أن غاية العلم غاية نظرية تسعىٰ إلىٰ اكتشاف القوانين في مجال محدد، أما تطبيق هذه القوانين في مجال النفع البشري فليس من اختصاص العلم وإنما هو من اختصاص الفن الذي يسعىٰ إلىٰ التطبيق العملي للنظريات العلمية. فالعلوم التطبيقية هي بالتعبير المنهجي فنون عملية.

وتأسيسًا علىٰ هذا، ولما كانت التربية مرتكزة علىٰ قوانين وقواعد نظرية تحكمها من خلال التجارب التي يجريها الباحثون في المجال التربوي، فإنها من ثم يمكن أن تتمتع **بخاصية العلم.**

ومن جهة ثانية: تضم التربية مجموعة وسائل فنية ومهارات معينة تميزها وتخصص طبيعتها، كما أنها تسعىٰ ضمن أهدافها إلىٰ محاولة الاستفادة من

النظريات والقواعد التي انتهت إليها الدراسات في الحقل التربوي؛ وذلك بمحاولة تطبيقها في الواقع حينما يمارس المربون وسائلها المختلفة من تهذيب أو تنمية أو تعليم أو تدريس، وهي من ثم تكتسب خاصية أخرىٰ تجعل منها شيئًا متميزًا عن بقية العلوم الأخرىٰ، وهي بهذا المعنىٰ **تكون فنًا**.

ومن ثم يتضح أن التربية مكتسبة لخاصيتي العلم والفن معًا، وأنها تجمع بينهما في إضافة لا يمكن الفكاك منها.

ولمزيد من التأصيل لإضفاء صبغة العلمية علىٰ التربية، فإن هذا يستوجب الوقوف علىٰ أهم خصائص العلم الأساس، ثم تطبيقها علىٰ التربية للحكم عليها بصبغة العلمية.

فبداية: ما مفهوم العلم؟

عُرِّف العلم بأنه: عبارة عن معرفة مكتسبة قائمة علىٰ الملاحظة الدقيقة والتفكير السليم، وتكوَّنتْ وترتَّبتْ بطريقة منطقية سليمة.

كما عُرِّف بأنه: بحث منظم لظاهرة طَبَعِيّة للوصول إلىٰ مجموعة من القوانين والتصميمات الوصفية التي تفسرها.

وعَرَّف ابن خلدون العلم بأنه: ميزة اختص الله تعالىٰ بها الإنسان عن سائر المخلوقات، وهذه الميزة تقوم علىٰ الفكر الذي يهتدي به الإنسان لتحصيل معاشه والتعاون عليه مع بني جنسه، وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالىٰ والعمل به، واتباع صلاح أخراه[1].

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٠١.

وبهذا يتبين أن العلم منه ما هو كسبي فيرادف المعرفة في ذلك؛ كما قال عنه تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾[الأنبياء: ٨٠]، ومنه ما هو غير كسبي؛ وهو العلم الإلهي الوهبي اللَّدُنّيّ؛ كما قال عنه تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف: ٦٥].

كما يتضح من التعريفات السابقة أن للعلم خصائص أساسًا؛ منها:

١. **المجالية**: حيث يتخذ كل علم مادي -أي خاضع للملاحظة والتجريب والقياس- مجالاً أو موضوعًا محددًا.

٢. **المنهجية**: حيث إن كل علم -في سبيل سعيه للكشف عن الحقائق العلمية، والعلاقات التي تتصل بالظواهر قيد البحث- يعتمد علىٰ أساليب وطرق معينة يسلكها الباحثون لإيجاد تفسيرات وحلول علمية لبعض المشكلات التي تنتمي لهذه الظواهر.

٣. **الهدفية**: أي أن يصل العالم أو الباحث إلىٰ حل لموقف مشكل، أو إزالة اللبس والغموض الذي يكتنف موضوعًا بعينه، أو الكشف عن العلاقات التي تحكم وتربط الظواهر بعضها ببعض.

وبعد هذا العرض لخصائص العلم، فإلىٰ أي حد يمكن تطبيقها علىٰ التربية كي يمكن وصفها بصفة العلمية؟ بمعنىٰ: هل للتربية مجال محدد؟ وما هذا المجال؟ وهل لها من منهج علمي تسير تبعًا له في معالجة قضاياها؟ وهل تسهم بحوثها في تحقيق أهداف معينة تخدم الإنسان؟

فيما يتعلق بالسؤال الأول -المختص بمجال التربية- فإن للتربية مجالها، وهذا المجال هو الفرد الإنساني، خاصة فيما يتعلق بتنمية الشخصية الإنسانية بصورة

متكاملة ومتوازية تعرض للفرد بصفته فردًا، وبصفته عضوًا في جماعة، وذلك في جوانبه المختلفة الجسمية منها والعقلية والخلقية، وكذا في كافة مستوياتها العمرية؛ سواء في الطفولة أو المراهقة أو الشباب أو الكهولة أو الشيخوخة.

وفيما يتعلق **بالمنهجية**: فإن البحث العلمي في التربية يخضع لطرق محددة وأساليب منضبطة، ولقد ميز البعض عدة طرق أو مناهج للبحث في قضايا التربية، وحصرها البعض في: المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج التجريبي، وشبه التجريبي، بل أفرد المتخصصون علمًا قائمًا بذاته أسموه: **(مناهج البحث في التربية وعلم النفس)**، له معارفه الخاصة، وله المتخصصون فيه.

وأخيرًا فيما يتعلق **بالأهداف**: فإن معظم البحوث التربوية تحاول أن تقدم وصفًا جيدًا للواقع الذي تعرض له، ويتعدىٰ الكثير منها حدود الوصف إلىٰ التفسير والبحث عن الأسباب والعلل والعوامل المؤثرة في قضاياه، كما يتناول الكثير منها موضوعات تنبُّئية مستقبلية تحاول أن تتجاوز الحاضر باستشراف المستقبل، وهكذا ومن خلال الوقوف علىٰ المعارف التربوية المنظمة والهادفة والمنضبطة، وتأسيسًا علىٰ هذا، يمكن القول: **إن التربية عملية علمية**.

٣ – مجالات التربية:

يعد الإنسان هو موضوع التربية ومجالها الرئيس، كما أن تنشئته وتزكيته وتعديل سلوكه وفق مواصفات معينة مرتبطة بهوية المجتمع وتراثه وتطلعاته الثقافية تمثل محور التربية الأساس، وبناءً علىٰ علاقة التربية بغيرها من العلوم التي تعتمد عليها تتمثل مجالات التربية في:

١- **علم النفس:** الذي يتناول السلوك الإنساني، ويكشف عن السمات النفسية للإنسان وتفاعله مع بيئته، وخصائصه إذا كان فردًا، وسماته إذا كان عضوًا في جماعة. ولهذا العلم فروع مختلفة كثيرة؛ منها: علم النفس التربوي، علم نفس النمو، علم نفس الفروق الفردية، علم النفس العلاجي، علم النفس الاجتماعي، علم نفس الشخصية.

٢- **أصول التربية:** ويهتم هذا الفرع بالأصول والأسس التي تقوم عليها التربية النشطة المستمدة من كافة العلوم التي تفيد في فهم جوانبها المختلفة؛ مثل علوم: النفس، والفلسفة، والاجتماع، والسياسة، والاقتصاد، والتاريخ، والحياة، ولذلك تتعدد أصول التربية إلىٰ:

أ- **الأصول الفلسفية للتربية:** وتتناول موضوعات مثل: فلسفة التربية وعلاقتها بأهداف المجتمع، والسياسات التربوية التي تسترشد بها العملية التعليمية.

ب- **الأصول الاجتماعية للتربية:** وتغطي موضوعات مثل: وظيفة التربية تجاه مجتمعها، ومدىٰ تفاعلها مع غيرها من منظمات اجتماعية.

ج- **الأصول الثقافية للتربية:** وتعرض لموضوعات مثل: التأثير المتبادل بين التربية والأوضاع الثقافية بالمجتمع.

د- **الأصول النفسية للتربية:** وتتناول موضوعات مثل: طبيعة المتعلم وقدراته، وطبيعة نموه النفسي والانفعالي، وعلاقة ذلك بأهداف التربية.

هـ- **الأصول الاقتصادية للتربية:** وتحتوي علىٰ موضوعات مثل: الإنفاق علىٰ التعليم والعائد الاقتصادي للتربية، ودراسة تمويل التعليم، ودراسة الكفاءة الداخلية والخارجية للتعليم، والتخطيط للتعليم علىٰ ضوء حاجات سوق العمل.

و- **الأصول التاريخية للتربية**: وتغطي موضوعات مثل: دراسة نشأة المؤسسات التربوية وتطورها، والعلاقة بينها عبر العصور، ودراسة تطور الفكر التربوي عبر العصور بما يساعد في فهم الحاضر والتنبؤ بما يمكن أن يكون عليه المستقبل.

ز- **الأصول السياسية للتربية**: وتتناول موضوعات مثل: دراسة العلاقة بين التربية والنظم السياسية، ودور التربية في التنشئة السياسية.

٣- **تاريخ التربية**: ويدرس هذا العلم نشأة التربية ويتتبع تطورها في العصور والمجتمعات المختلفة، مُركِّزًا في ذلك على البحث عن خصائص كل عصر، وإضافاته في المجال التربوي، والمؤثرات التي وسمت هذا العصر أو ذاك بوسمٍ خاص.

٤- **التربية المقارنة**: ويهتم هذا العلم بدراسة نظم التعليم في الدول المختلفة، والعوامل المؤثرة في هذه النظم، وعلاقتها بغيرها من النظم في المجتمعات الأخرى، وإلى أي مدى يمكن الاستفادة من هذه النظم في مجتمعات أخرى، مع وضع الاختلاف بين ظروف المجتمعات في الاعتبار.

٥- **المناهج وطرق التدريس**: ويدرس هذا المجال الخبرات والنشاطات التعليمية، والأسس التنظيمية لهذه الخبرات، والأهداف التعليمية ومصادر اشتقاقها، ومواصفات المناهج الدراسية من حيث المحتوى والوسائل التعليمية وطرق التدريس وأساليب التقويم وغير ذلك من موضوعات تؤثر في العملية التعليمية.

٦- **الإدارة التعليمية**: ويتناول هذا الفرع الأصول العامة للإدارة التعليمية، والسلطة والعلاقات الإنسانية في الإدارة التعليمية، والقيادة التربوية وأنماطها،

والاتصال ووسائله في الإدارة التعليمية، وغير ذلك من موضوعات تستهدف إتاحة إدارة سليمة تحقق الأهداف المرجوة بأقل تكلفة ممكنة وفي زمن مناسب.

٧- **التربية الإسلامية:** ويدرس هذا العلم الأصول التربوية الإسلامية، وتاريخ التربية الإسلامية، وفلسفة التربية الإسلامية، والفكر التربوي الإسلامي، وغير ذلك من مفاهيم التربية وقضايا التعليم في ضوء مصادر التشريع الإسلامي، وما يترتب علىٰ ذلك من تطبيقات تربوية.

ولقد حدد القرآن الكريم مجالات التربية الإسلامية أو ميادينها في أربعة مجالات؛ ذكرها الله سبحانه وتعالىٰ في قوله: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[البقرة: ١٢٩]. وتتمثل هذه المجالات في:

أ- **مجال العقيدة الإسلامية:** ﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ ﴾؛ سواء أكانت تتعلق هذه الآيات بميدان الغيب، أم الاجتماع البشري، أم الكون.

ب- **مجال الإعداد الفكري والمعرفي:** ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾.

ج- **مجال الإعداد الوظيفي والسلوكي:** ﴿ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾، وذلك بما تتضمنه الحكمة من معانٍ كثيرة مثل: الإتقان والإصابة، الحلول الملائمة، التمييز بين الخطأ والصواب، الفهم والمعرفة، صواب الرأي وحسن النظر في الأمور، حسن التقدير والإدارة والتصرف.

د- **مجال التزكية وتعديل السلوك:** ﴿ وَيُزَكِّيهِمۡ ﴾ أي الإصلاح والتطهير والتنمية؛ سواء أكانت هذه التزكية للنفس، أم للعقل، أم للجسم. وسوف تتضح هذه المجالات لاحقًا بالتفصيل.

٤ – أهمية التربية:

لم يعد الاستثمار في العصر الحالي قائمًا علىٰ رأس المال المادي بقدر ما يقوم علىٰ رأس المال البشري وقدرة الإنسان علىٰ الإبداع؛ وذلك لأن الإنسان هو أهم عوامل التنافس والتنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في المجتمعات.

فالتربية تسعىٰ من خلال مؤسساتها المختلفة إلىٰ إكساب أفراد المجتمع المعارف والقيم والمهارات اللازمة للنجاح في حياتهم، مراعية في ذلك اختلاف مراحل النمو، وخصائص كل مرحلة، وقدرات الفرد وإمكاناته وميوله واستعداداته من ناحية، ومتطلبات سوق العمل والقيمة الاجتماعية والاقتصادية للعمل المنتج من ناحية أخرىٰ.

كما أن العملية التربوية تسعىٰ –من خلال أهدافها وبرامجها وأساليبها– إلىٰ قيادة حركة التغيير وتوجيهها والإسهام في تحقيق التنمية والتحديث، انطلاقًا من كونها عملية اجتماعية تعمل في المجتمع وللمجتمع لتحقيق آماله وأمانيه.

وعلىٰ وجه العموم، يمكن إجمال أهمية التربية –علىٰ مستوىٰ الفرد والجماعة والمجتمع– في النقاط الآتية:

١. تعمل التربية علىٰ تحقيق الضبط الاجتماعي؛ إذ إنه عن طريقها يمكن التحكم في نوازع الصراع، والظلم بين أفراد المجتمع وفئاته، كما يمكن علاج الانحرافات وإعادة الاستقرار والتوازن إلىٰ مكونات البناء الاجتماعي. وبذلك تعمل التربية علىٰ تأمين المجتمع من كل ما قد يهدد تكامل الجماعة وتماسكها، أو مما قد يضعف من توافق الأفراد مع ما يسود الجماعة من قيم وأنماط مقررة، كما أنها تسهم في صيانة النظام الاجتماعي في المجتمع ليتحقق الخير والصالح للمجتمع والفرد.

٢. مساعدة الفرد البشري علىٰ الحياة في ظروف غير مواتية (التكيف)؛ وذلك عن طريق السعي إلىٰ تغيير الظروف ذاتها، وبما يجعلها متمشية مع ظروف الفرد وحاجاته، أو بتحوير حاجات الفرد وظروفه لتتمشىٰ مع الظروف المحيطة إن استحال تغيير هذه الظروف، أو من خلال التقريب والوفاق والانسجام بين الطرفين -الظروف المحيطة وظروف الفرد وحاجاته- علىٰ السواء.

٣. مساعدة الفرد علىٰ أن ينمو نموًا طبعيًا في حدود ما تؤهله قدراته من الناحية الجسمية والعقلية والعاطفية والروحية والاجتماعية، وبما يسمح له بالتفاعل والفاعلية في مواقف الحياة المختلفة ومع الجماعة التي يعيش فيها.

٤. مساعدة الأولاد في أن يتمثلوا معايير ثقافتهم ومعايير توافقهم، كما تحدد وسائل إشباعهم لحاجاتهم المختلفة، وكيفية التعبير عنها اجتماعيا. إنها باختصار تشكل المعالم الرئيسة لشخصياتهم.

٥. تنمية شخصية الفرد وتعريفه بمظاهر التغير الثقافي والاجتماعي الحادث في المجتمع، والمشكلات الثقافية والاقتصادية التي تواجهه، من خلال تقبله لثقافة معينة ومشاركته فيها.

٦. تشرب الفرد للقيم الاجتماعية الحسنة؛ مثل: التعاون، والحرية، والاستقلال، والاعتزاز بالنفس، والانتماء للجماعة، واحترام الكبير.

٧. إكساب الفرد للمبادئ والاتجاهات السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه حتىٰ يسهل اندماجه وتهيئته لمواجهة المشكلات والتحديات الآنية والمستقبلية.

٨. تدعيم روح الانتماء إلىٰ الأسرة والمجتمع والوطن، واكتساب القدرة علىٰ المبادرة والتعاون والعمل فريقًا واحدًا، وتحمل المسؤولية، واتخاذ القرارات السليمة، وتنظيم الوقت واستثماره.

٩. تؤتي التربية ثمارًا مهمة في مساعدة المجتمعات علىٰ التعايش الفعال في عالم يتسم بسرعة التغير، وبما يضمن لهذه المجتمعات مكانًا بارزًا علىٰ خريطة الوجود العالمي.

١٠. العمل علىٰ محو الأمية بجوانبها المختلفة: الأبجدية، والوظيفية، والتقنية، بما يمكن الأفراد من التفاعل الرشيد مع جملة التغيرات المجتمعية في جوانب الحياة المختلفة.

١١. تعزيز ثقافة المجتمع وتدعيمها، بما يمكنها من الصمود في مواجهة الثقافات الوافدة.

٥ – وظائف التربية:

إن علاقة الثقافة بالتربية من الأمور التي لا يستطيع أن ينكرها أحد؛ فالتربية لازمة للمحافظة علىٰ كينونة المجتمع وهويته، وذلك من خلال المحافظة علىٰ ثقافة ذلك المجتمع ونقلها من جيل إلىٰ جيل. والقول أيضًا بأن التربية عملية اجتماعية يحمل ضمنا أنها تختلف من مجتمع لآخر؛ وذلك حسب طبيعة المجتمع الذي توجد فيه والقوىٰ الثقافية المؤثرة علىٰ ذلك المجتمع، إضافة إلىٰ القيم الدينية والفلسفية التي يعيش علىٰ أساسها أفراد ذلك المجتمع، ويعني ذلك أن التربية في مجتمع ما تتحدد أهدافها وغاياتها ووسائلها حسب أهداف المجتمع التي تتحدد في إطار فلسفته وهويته.

ولهذه العلاقة الأكيدة بين التربية والثقافة والمجتمع، يمكن القول إن وظائف التربية - بصورة إجمالية - تتمثل في:

١. المحافظة علىٰ كل ما هو موجود في الموروث الديني والاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي، وحمايته وصيانته من التبديل أو التحريف أو التغيير عند نقله للأجيال المختلفة.

٢. التجديد والتحديث والإبداع والابتكار في الحياة المجتمعية وأوضاع البشر المتجددة بما يساعد علىٰ التقدم والتكيف السليم مع حاجات العصر المتطورة.

أما تفصيلاً، فللتربية وظائف أخرىٰ عديدة تتحدد بنوع مؤسسات المجتمع العديدة والمتنوعة. وسوف نتناول هذه الوظائف بالتفصيل عند عرض وسائط التربية ومؤسساتها.

٦ - أنواع التربية:

ثمة تصنيف للتربية يقرر أنها تنقسم إلىٰ نمطين هما: **التربية المقصودة، والتربية غير المقصودة.** ويقصد بالتربية المقصودة تلك العملية التي تحصل داخل مؤسسات أنشأها المجتمع خصيصًا من أجل الغرض التربوي في ذاته، ولم تنشأ لغرضٍ غيره. أما التربية غير المقصودة فهي تلك التي تحصل في مؤسسات أو أماكن أخرىٰ، ولم تنشأ ولم تؤسس خصيصًا من أجل الغرض التربوي في ذاته.

وحسب هذا التصنيف وفقًا لتطور الفكر التربوي وتاريخ التربية، فإن التربية في بداية الأمر -أي في العصور القديمة- كانت غير مقصودة، ومعنىٰ ذلك أن عمليات التربية كانت تحصل تلقائيًا دون إنشاء مؤسسات خاصة لذلك الغرض، ولذا فإنه يقال: إن هذه التربية تعد تربية غير مقصودة؛ أي: إن المجتمع يربي أجياله بدون قصد أو غرض واضح وبيّن.

غير أن الأمر قد تبدَّل وتغيَّر على امتداد التاريخ، وبحكم التطور والتقدم وتعقد الثقافات وتشابكها، حاول المجتمع بعد ذلك أن يؤسس مؤسسات تربوية متخصصة في المجتمع، وأصبح لهذه المؤسسات طابع خاص، وأضحى أهم ما يميز هذا الطابع هو التخصص في عمليات التربية في ذاتها؛ تلك المؤسسات التي أقامها المجتمع من أجل الغرض التربوي في ذاته يقال عنها: مؤسسات وظيفتها الأساس القيام بعمليات التربية المقصودة.

غير أن هناك ملحوظات على هذا التصنيف السابق للتربية من حيث كونها: مقصودة أو غير مقصودة، ومن أهم هذه الملحوظات أن التربية عملية اجتماعية نفسية تحصل من خلال مجال معين، وهذا المجال الذي تحصل فيه العملية التربوية يرتكز على عدة دعائم أساس هي عبارة عن: **مؤثر ومتأثر ووسيلة**.

ولكي تحصل العملية التربوية فلا بد من توافر هذه الدعائم الثلاث سابقة الذكر، وكذلك لكي تنتقل الخبرة التربوية ويتحقق الغرض منها لا بد من وجود تلك الدعائم الثلاث معًا في آن واحد؛ لأنها بمثابة الركائز التي تتم من خلالها الخبرة التربوية.

غير أنه من ناحية أخرى لكي تحصل الخبرة التربوية ويكتمل نقلها لا بد من توافر عنصر آخر؛ وهو ما يسمى **بالقصدية أو الغرضية**. وبدون توافر هذا العنصر الأخير فلن يكتمل نَقْل الخبرة التربوية.

ولكي نُلقي مزيدًا من الضوء على هذا الموضوع فإننا نقول: حينما نحاول نقل خبرة تربوية -أية خبرة- لشخص ما فلا بد أن نوجد عند هذا الشخص درجة معينة من التأثير حتى تنتقل هذه الخبرة إليه، ومن ثم نطلق على هذا الشخص لفظ (**متأثر**)، وفي الوقت نفسه نطلق على الباعث لهذه الخبرة أو المصدر الذي ستصدر منه هذه

الخبرة لفظ (**المؤثر**) بمعنىٰ المصدر أو الباعث الذي يرسل خبرة معينة إلىٰ متأثر معيّن بقصد التأثير فيه وخلق الانطباع لديه تجاه موضوع ما.

وإذا أمعنا النظر في هذا الموضوع نلحظ أن الخبرة حينما تنتقل من المؤثر إلىٰ المتأثر تتطلب توافر عنصر القصد، إما من جانب المؤثر أو من جانب المتأثر، أو من كليهما معًا في آن واحد. ونزيد الأمر وضوحًا فنقول: إنه في الخبرة التربوية إذا انتقلت هذه الخبرة من مؤثر إلىٰ متأثر فلا بد أن يكون أحدهما علىٰ الأقل قد قصد نقل هذه الخبرة بوسيلة أو بأخرىٰ، وفي أي وسط كان.

والدليل علىٰ ما سبق أنه إذا افترضنا أن مؤثرًا ما قد خرجت منه خبرة ما عن غير قصد، واستقبلها المتأثر بأسلوب ما، وتمثلها ووعاها؛ فإن المتأثر في هذه الحالة يكون قد توافر لديه عنصر القصد أو الغرض أو الهدف.

٧ – وسائط التربية ومؤسساتها: (المهمات والعوائق):

التربية عملية لا تنفرد بها مؤسسة واحدة من مؤسسات المجتمع، ولا تستطيع القيام بها دون مساعدة ومساندة من المؤسسات الأخرىٰ، بل إن علىٰ كل مؤسسة جانبًا من المسؤولية التربوية. ورغم تعدد تلك المؤسسات وتنوعها -خاصة في المجتمع المسلم كالمدارس والحلقات والمراكز والنوادي الشبابية- فإن العرض هنا سوف يقتصر علىٰ أكثر هذه المؤسسات ذيوعًا وانتشارًا؛ وذلك علىٰ النحو الآتي:

أولاً: الأسرة:

تعتبر الأسرة من أهم المؤسسات التربوية في المجتمع، وتتأتىٰ هذه الأهمية الكبيرة للأسرة تربويًا من كونها أولىٰ المؤسسات التربوية التي تتعامل مع الفرد البشري بعد ولادته، لا سيما أن هذه المرحلة تتسم بالعجز شبه التام والاعتماد الكلي علىٰ الآخرين.

ولقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤]. فجعل بداية حياة الإنسان من ضعف.

وزمن هذا الضعف -مرحلة الطفولة- نسبة للعمر الإنساني يعد من أطول مراحل الطفولة بين سائر المخلوقات، لذا فإن الأسرة باعتبارها المؤسسة المسؤولة عن الفرد الإنساني في هذه المرحلة تعد أهم المؤسسات التربوية في تلك المرحلة.

والأسرة هي أقدم المؤسسات التربوية في المجتمع علىٰ الإطلاق؛ إذ إن تكوين الأسرة أمر غريزي فطري، أوجده الله في الإنسان منذ بدء الخليقة، بل جعله مصدر الراحة والسكن له؛ فقال تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الروم: ٢١].

ولقد أدرك الإنسان أنه مهما طال به العمر فلا بد من الفناء، مما جعله يسعىٰ جاهدًا إلىٰ تحقيق بقائه المعنوي أكثر من المادي عن طريق تكوين الأسرة، باعتبارها وسيلة لإنجاب الأولاد والأحفاد الذين يعتبرهم الفرد امتدادًا له ورموزًا تحمل اسمه، كما ارتبط تكوين الأسرة بإيمان الفرد بضرورة وجوده في جماعات يربطها رباط

الرحم؛ وذلك ليستطيع أن يواجه كوارث الطبيعة وتحدياتها، ويضمن استمرار بقاء هذه الجماعات. وبجانب هذه الوظيفة، تعمل الأسرة كذلك علىٰ:

(أ) تحقيق الأمن والطمأنينة لأفراد الأسرة:

يشعر أفراد المجتمع من جراء وجودهم في أسر معينة ومترابطة بروابط قوية بنوع من الاستقرار والأمن؛ إذ يكفل لهم ذلك وجود من يذود عنهم ويحافظ عليهم، ويقف معهم عند العثرات والأزمات، إذ إن الوجود في أسرة يضمن صلة الأرحام، ويجعلهم ذوي شوكة قوية يُخشىٰ جانبها، وبها يحدث التعاضد والتناصر، وتعظم رهبة العدو لهم.

ويدل علىٰ ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن إخوة يوسف عليه السلام حين قالوا لأبيهم: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [يوسف: ١٤]. والمعنىٰ أنه لا يتوهم العدوان علىٰ أحد مع وجود العصبة وصلة الرحم؛ وذلك لما تحققه العصبة من منعة وقوة، وفائدة تعم الجميع، وتضمن للكل البقاء والاستقرار.

(ب) إكساب أفراد الأسرة القيم الإسلامية والخلقية والثقافية التي يتمثلها المجتمع:

تمثل الأسرة المرآة التي تنعكس عليها هوية المجتمع الموجودة فيه، وذلك بما تحتويه هذه الهوية الثقافية من قيم وعادات وتقاليد ومعارف يستقيها أفراد الأسرة - خاصة الصغار منهم- فيتعلمون فكرة الصواب والخطأ، كما يتعرفون علىٰ الأنماط السلوكية التي يجب أن يتمثلوها في حياتهم، كما يتعلمون ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، وكيف يتعاملون مع غيرهم.

وعن أهمية هذه الوظيفة وخطورتها قال الرسول ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه؛ كما تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاء[(١)]، هل تحسون فيها من جدعاء؟[(٢)]**»[(٣)].

وتتأتىٰ المحافظة علىٰ ثقافة المجتمع وهويته من خلال الخبرات التي يعيشها الأفراد خلال عملية التنشئة الاجتماعية، والتي تؤدي إلىٰ تمثُّل قِيَم المجتمع الرئيسة ومعتقداته، والتي يجب أن تكون المعيار الأساس لتقويم السلوك الإنساني.

(ج) الإنماء النفسي لأفراد الأسرة:

الأسرة مسؤولة إلىٰ حد كبير عن النمو النفسي لأفرادها؛ فهي مسؤولة عن كثير من السمات الشخصية المكتسبة لأفرادها؛ كالعدوان، والانبساط، والانطواء، وغيرها من سمات. فالأسرة المستقرة التي تشبع حاجات أفرادها بصورة متوازنة يخرج منها أفراد أسوياء، أما تلك الأسرة المضطربة فإنها تكون مرتعًا خصبًا للانحرافات السلوكية والأخلاقية والاضطرابات النفسية.

(د) إشباع الحاجات الأساس لأفراد الأسرة:

أولىٰ الإسلام هذه الوظيفة عناية فائقة؛ إذ جعل من ذلك التكافل الكائن في الأسرة وسيلة لتحقيق هذه الكفالة، وقد رفع من منزلة هذه الكفالة حتىٰ جعلها في مرتبة الجهاد؛ إذ يقول بعض الصحابة وقد رأوا شابًا قويًا يسرع إلىٰ عمله: لو كان هذا

---

(١) أي: مكتملة الأعضاء.

(٢) أي: مقطوعة أحد الأطراف.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٨).

في سبيل الله! فيقول الرسول ﷺ: «**إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَىٰ عَلَىٰ وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَىٰ عَلَىٰ أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ**»[1].

ولقد حض الإسلام علىٰ ذلك التكافل بين الفرد وأسرته فقال تعالىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[الأحزاب: ٦]، كما خص الآباء بتلك الكفالة فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٣٣].

وقيمة هذا التكافل في محيط الأسرة أنه قوامها الذي يؤدي بها إلىٰ التماسك، ومن ثَمَّ يؤدي إلىٰ التماسك الاجتماعي؛ حيث إن الأسرة هي اللبنة الأولىٰ في بناء المجتمع، وهي تقوم علىٰ عواطف الرحمة والمودة، ومقتضيات الضرورة والمصلحة المشتركة.

(هـ) التوفيق بين الخبرات التي يتعرض لها أفراد الأسرة:

قد يواجه الفرد من مؤسسات المجتمع الأخرىٰ أفكارًا متباينة، لا سيما من جراء الاتجاهات الفكرية المتباينة في المجتمع، أو من خلال الثقافات الوافدة عبر السماوات المفتوحة والقرية الكونية في ظل ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، الأمر الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلىٰ الزيغ والتردد من جراء هذه الخبرات، ويصبح علىٰ الأسرة -باعتبارها إطارًا مرجعيًا- أن تحسم هذا الزيغ

(١) أخرجه الطبراني ١٩/ ١٢٩ (٢٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٢٨).

والتردد؛ وذلك من خلال إتاحة المناخ الشوري للفرد لمناقشة ما يراوده من أفكار مع من يكبره سنًا من أفراد أسرته، وفي إطارٍ من تواصل الأجيال لا صراعها.

(و) تقديم القدوة الحسنة: ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال:

١. تعويد الأولاد علىٰ حضور المناسبات الاجتماعية وتشجيعهم علي ذلك؛ لأن هذا يساعد الطفل في التعرف علىٰ المجتمع؛ حيث يلتقي الطفل بالكبار فيتعلم منهم بعض معايير المجتمع وقيمه، كما يلتقي بالصغار فيلعب ويفرح معهم، كما يتعلم الطفل من أبيه ألفاظ المشاركة الوجدانية، وفي كل هذا ينمو الطفل قادرًا علىٰ الاندماج في المجتمع ومن ثم التفاعل معه.

٢. تربية الولد علىٰ إحسان معاملة والديه؛ فإذا تعود الولد علىٰ حسن التعامل مع والديه قاده ذلك إلىٰ حسن التعامل مع المجتمع، والعكس صحيح؛ فإذا أساء الطفل معاملة والديه فمن باب أولىٰ أن يسيء إلىٰ المجتمع الذي يعيش فيه.

٣. اصطحاب الطفل خارج البيت ليلتقي بأقرانه فيحصل التعارف والاختلاط والاندماج، فيتعود الطفل علىٰ أن يعيش مع المجتمع وليس بعيدًا عنه.

٤. تعليم الأولاد الآداب الاجتماعية، ومنها: حفظ اللسان عن الهمز، والعين عن اللمز، والقلب عن الحسد والغل والكراهية، وغيرها من الصفات المذمومة التي إذا انتشرت في المجتمع جعلته أجزاءً متباعدة، بدلاً من كونه جسدًا واحدًا، أو بنيانًا مرصوصًا. ويلحق بهذه الآداب أيضًا تربية الطفل علىٰ توقير الكبير، وقضاء حاجات الآخرين، وتعويده علىٰ رد الجميل، وكذلك علىٰ إلقاء السّلام ورده، ومراعاة مشاعر

الناس، وبخاصة الجيران.

٥. إرشاد الأطفال إلىٰ البعد عن الأخلاق الرديئة، مثل: التشاجر، والسب، والطعن، والضرب، والتعصب للرأي، وما شابه ذلك، ومن ثم علىٰ المربي إرشادهم إلىٰ التحلي بالأخلاق الإسلامية من: الصبر، والحلم، والمودة، والتصافي، والتسامح.

٦. التزام أفراد الأسرة -الكبار- بالممارسة العملية لتطبيق الشعائر الإسلامية، مع دعوة الأولاد للقيام بمثل ذلك.

٧. تشجيع أفراد الأسرة -خاصة الصغار- علىٰ عمل الخير، وحثهم علىٰ العطاء بدون مقابل.

٨. توضيح ما هو فاسد ومجافٍ للخير والنُّبْل من الأعمال بالحكمة والموعظة الحسنة والليونة في المناقشة والحوار.

٩. عرض صور من حياة الرسول ﷺ، ومواقفه هو وأصحابه ﷺ، ومن أتىٰ بعدهم من رجال المسلمين العظماء؛ للاقتداء بهم وبمواقفهم في العدل مع المخالف واحترام حقوقه.

١٠. تعليم قيم العدل والإحسان تجاه كل ما حوله من مخلوقات.

١١. ورغم ما تقوم به الأسرة من وظائف ومهمات، إلا أنه قد توجد بعض العوامل التي تؤثر سلبًا عليها، مما يعوقها عن أداء رسالتها علىٰ الوجه الأمثل، ولعل أهم هذه العوامل باختصار تتمثل في:

أ- غياب الأب عن المنزل مددًا طويلة نسبيًا لأي سبب؛ الأمر الذي قد يعرض

الأطفال لبعض المشكلات والأمراض النفسية والاجتماعية.

ب- الحرمان العاطفي للطفل بسبب خروج الأم للعمل، وترك الطفل لمربيةٍ، أو مع جيران المنزل.

ج- انتشار الأمية الشرعية والثقافية بين الآباء والأمهات، مما ينعكس نقصًا علىٰ الطفل وتربيته وتهيئته للعيش في عالم اليوم والغد.

د- الصراع بين عموم الأولاد من إخوة وأخوات داخل الأسرة، نتيجة الازدواجية في معاملة الوالدين للأولاد، أو شعور بعض الأولاد بالنقص.

هـ- التعاسة الزوجية والتفكك الأسري، مما قد يؤدي إلىٰ نمو الأولاد نموًا نفسيًا غير سليم.

و- الحماية الزائدة أو الإهمال، والدلال أو التسلط والعنف، وتفضيل الذكر علىٰ الأنثىٰ أو العكس، مما قد يُعوِّد الفرد علىٰ الإذعان والخضوع والتخاذل.

ثانيًا: المسجد:

يعد المسجد أول مؤسسة تعليمية عامة في الإسلام، يدخل للصلاة فيه والدراسة كلُّ من تهفو نفسه إلىٰ ذكر الله، ويتطلع عقله إلىٰ نور العلم وطمأنينة الحقيقة، لذا كان أصحاب رسول الله ﷺ أول المتعلمين في المساجد؛ يتحلّقون حول أفقههم علمًا وأوعاهم لكتاب الله حفظًا وتدبرًا، يأخذون عنه ما يزيدهم إيمانًا وما يبصرهم بأمور دنياهم، لتكون دنيا المسلمين وأخراهم علىٰ أفضل ما يرضي الخالق ويسعد المخلوق.

وكان للمسجد في صدر الإسلام وظائف جليلة، أهمل المسلمون اليوم الكثير منها؛ فقد كان منطلقًا للجيوش، وبيتًا لاستقبال الوفود، ومركزًا تربويًا يُربَّىٰ فيه الناس علىٰ الفضيلة وحب العلم، وعلىٰ الوعي الاجتماعي ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة الإسلامية، وكان مركزًا للتعليم، ومصدر إشعاع خلقي يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق وكريم الشمائل.

ومن الأهمية القول بأنه يوم أن كانت المساجد تؤدي واجبها الحقيقي مصدرًا للإشعاع والهداية كانت عزةُ الإسلام والمسلمين؛ فقد تخرج فيها الخلفاء، والأمراء، والقواد، والزعماء، والمحدثون، والفقهاء، والمفسرون، ورجال القضاء، وأساتذة اللغة والأدب، والمفكرون، والمثقفون، والدعاة، والعلماء في شتىٰ أنواع المعرفة ممن شهد لهم التاريخ بأنهم أصحاب التأثير العظيم في مسار عجلة الزمن وفي ثقافة الأمم وحضارة الشعوب، فهم:

(١) **علماء**: بما تحمله هذه الكلمة من عموم ـ لعلوم الدين والدنيا.

(٢) **واجتماعيون:** استطاعوا أن يتعايشوا مع جميع البشر باختلاف أجناسهم، ولغاتهم، وأقاليمهم، وبيئاتهم المتباينة؛ فوسعوهم بصدورهم، واستوعبوهم بأخلاقهم، وكسبوا عطفهم وأخوتهم، وحققوا معنىٰ هذه الآية واقعًا ملموسًا؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

(٣) **وسياسيون:** حكموا العالم قرابة ثلاثة عشر قرنًا من المحيط إلىٰ المحيط، فكانوا خير ساسة عرفهم التاريخ.

(٤) **وقادة مجاهدون:** فتحوا الدنيا ولم يعرف العالم مثلهم فاتحًا، فاقترن بفتحهم نشر الفضائل والقضاء علىٰ الرذائل.

وفي ضوء ما سبق، فإن الواجبات التربوية التي ينبغي أن يحققها المسجد هي: تقديم الحقائق الشرعية في يُسْرٍ، مع توضيح انعكاساتها علىٰ الواقع المعاصر، واختيار المفاهيم التي تتناسب وسن الأفراد، وعرضها في أسلوب جذاب ومشوق، وتوفر القدوة الحسنة في الداعية أو الإمام داخل المسجد وخارجه، وحسن استثمار المساجد وأدواتها لتثبيت التربية وغرس العقيدة الصحيحة، وقيام المساجد بتوعية أفراد المجتمع بالأحداث التي تحيط بهم، وتوضيح مظاهر الحضارة الإسلامية، وإظهار الأثر الفعال الذي قام به المسلمون في حُقب التقدم والازدهار في كافة المجالات والتخصصات، والدعوة إلىٰ التوسط والاعتدال في سلوكيات الأفراد والنهىٰ عن التشدد والمغالاة، وتدعيم إحساس الفرد بالانتماء الديني إلىٰ أسرته ومجتمعه وأمته، وتركيز المساجد علىٰ المناشط المتنوعة التي تشبع حاجات أفراد المجتمع، ومعالجة مشكلات الشباب بما يتماشىٰ ومبادئ الدين، وتصحيح

المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، أو رد الشبهات والأباطيل التي يثيرها خصومه، وتركيز الدروس والخطب علىٰ علاج أمراض المجتمع، وتقديم الحلول لمشكلاته.

ورغم ما يقوم به المسجد من وظائف ومهمات، إلا أنه قد توجد بعض العوامل التي تؤثر سلبًا عليه؛ مما يعوقه عن أداء رسالته علىٰ الوجه الأمثل، ولعل أهم هذه العوامل باختصار تتمثل في:

أ- عدم ارتياد الأطفال والمراهقين المساجد بسبب غياب الأب عن المنزل أو افتقاد القدوة الحسنة فيه لعدم ذهابه هو للمسجد أو عدم صلاته أصلا.

ب- اتخاذ بعض الأئمة الإمامة والخطابة وظيفة، وليست رسالة.

ج- ضعف بعض الأئمة أو عجزهم عن توصيل المعلومة.

ثالثًا: المدرسة:

إذا كانت المدرسة هي المؤسسة التي أنشأها المجتمع بغرض القيام بعملية تعليم أفراده وتربيتهم، فإن هذا لا يعني اضطلاعها بعبء التربية وحدها، وأنه لا توجد مؤسسات أخرىٰ تشارك المدرسة وظيفتها، لذا فالمدرسة إحدىٰ الوسائط التربوية النظامية التي أنشأها المجتمع لتحقيق أهدافه وبلوغ غاياته. ويمكن تلخيص بعض المهمات التربوية للمدرسة فيما يلي:

١. تنمية شخصية المتعلم **تنمية شاملة متكاملة متوازنة من خلال تربيته:**

إيمانيًا: من أجل إضافة فرد صالح للمجتمع، يرعىٰ حقوق الله وحقوق الآخرين، في السر والعلن.

جسميًا: بغية الوصول بالجسم إلىٰ قدر مناسب من الصحة العامة.

عقليًا: بغرض تنمية القدرات والعمليات العقلية المختلفة.

نفسيًا: بغرض التسامي بالنفس والوصول بها إلىٰ أعلىٰ مراتبها.

أخلاقيًا: بغية الوصول إلىٰ "مكارم الأخلاق"، أو "الخلق الحسن" أو "الخلق العظيم"، أو "خلق القرآن".

وجدانيًا: بغية الوصول إلىٰ حالة "الاتزان الوجداني أو الانفعالي".

ومن ثم تصبح المدرسة بيئة تربوية متميزة، لا تكتفي بنقل المعلومات، وحشو العقل بالعلوم والمعارف فحسب، بقدر ما تهتم بتربية الإيمان، والجسم، والعقل، والأخلاق، والوجدان؛ ليكون الفرد صحيح الإيمان، سليم الجسم، مكتمل العقل، مضبوط العاطفة، متزن الشخصية.

٢. المحافظة علىٰ ثقافة المجتمع وهويته:

لا شك أن لكل أمة تراثها الثقافي الذي يمثل ذاكرتها التاريخية، أو سجلها الحي أودعته تجاربها وخبراتها خلال حياة ممتدة بامتداد تاريخها. ولم تقم للمؤسسات التربوية النظامية قائمة إلا بعد أن تضخم التراث الثقافي وتشعبت ميادينه، وأصبح من الصعب الإحاطة أو الإلمام به. ومن ثم فقد كانت الثقافة إحدىٰ القضايا التي ما زال يهتم بها النظام التعليمي بشتىٰ مؤسساته وآلياته. وتأخذ الوظيفة الثقافية للمدرسة أشكالاً وصورًا متعددة: حفظًا، ونقلاً، وتيسيرًا، وتطويرًا، وتنمية. ومن ثم، تصبح وظيفة المدرسة تقديم ثقافة حية جديدة ومتجددة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتربط بين الثابت والمتغير.

٣. التماسك الاجتماعي:

تتشكل معظم المجتمعات من جماعات يرتبط بعضها ببعض بدرجات متفاوتة، كما يتكون من طبقات اجتماعية، وطوائف، وأصحاب مذاهب، وديانات قد تختلف في: العادات، والاتجاهات، والأفكار والآراء، والقيم، والآمال والتطلعات، وقد تتعارض وتتشابك وتتصارع. وإزاء هذا تؤدي المدرسة واجبها المنشود في إيجاد حالة من التوازن بين عناصر البيئة الاجتماعية ومكوناتها وقطاعاتها؛ وذلك بإتاحة الفرص لكل فرد أن يتحرر من قيود الجماعة والطبقة الاجتماعية، علىٰ أن يكون أكثر تفاعلاً وتواصلاً مع مجتمعة وأمته. وحتىٰ يمكن للمدرسة تحقيق التماسك الاجتماعي، فينبغي عليها: تقوية شعور التلاميذ بالتجانس، وتهيئة فرص النشاط أمام التلاميذ التي تجعلهم أكثر إحساسًا بأنهم يعملون لتحقيق هدف مشترك، وتقوية شعور التلاميذ بالانتماء والولاء، وتعميق روح التعاون والتفاهم، والتؤدة والأناة، والرحمة، ونشدان الحق والصواب.

ورغم ما تقوم به المدرسة من وظائف ومهمات، إلا أنه قد توجد بعض العوامل التي تؤثر سلبًا عليها، مما يعوقها عن أداء رسالتها علىٰ الوجه الأمثل، ولعل أهم هذه العوامل باختصار تتمثل في:

١. ضعف الإدارة المدرسية أو فوضويتها، مما ينعكس سلبًا علىٰ مستوىٰ مخرجات التعليم وتحقيق النظام التعليمي لأهدافه.

٢. مركزية الإدارة والبيروقراطية والرتابة في رسم السياسات ووضع استراتيجيات التنفيذ، وغياب التنسيق وتحديد الأولويات.

٣. قصور المناهج الدراسية عن مواكبة التقدم العلمي في المجالات المختلفة.

٤. ضعف الاهتمام بالأنشطة الصفِّية وغير الصفِّية.

٥. انتشار ظاهرة ممارسة العنف والعدوان بين الطلاب أو ضدهم.

٦. ضعف سلطة المدرس داخل الفصل، أو تغاضي المدرسين عن أخطاء الطلاب، والتهاون وعدم الحزم داخل الفصل.

٧. تقليد بعض الطلاب ومحاكاتهم للسلوك المنحرف -المكروه منه والمحرم- بعيدًا عن ضوابط الأسرة أو المدرسة.

رابعًا: وسائل الإعلام:

تؤثر وسائل الإعلام بكافة صورها -المقروءة والمسموعة والمرئية والجديدة- في العملية التربوية في المجتمع تأثيرًا بالغًا وباهرًا، وخاصة مع تطورها، واستخدام تكنولوجيا الفضائيات المتطورة بما تملكها من قدرة علىٰ التغطية، وتجاوز الحدود الزمنية والمكانية، وعدم اقتصارها علىٰ شريحة عمرية، أو مستوىٰ تعليمي، أو قطاع جغرافي، بالإضافة إلىٰ ما يميز منهجها الموازي من مميزات تفتقر إليها وسائط التربية الأخرىٰ؛ حيث أصبحت تتسلل لكل مكان، وتفرض نفسها - دون استئذان - علىٰ كل أسرة مؤثرةً في جوانب حياتها المعاصرة. ومن ثَمَّ، تسهم وسائل الاتصال الجماهيري في نشر المعارف والأفكار بين أفراد المجتمع، كما يمكنها أن تعمل علىٰ تدعيم القيم المرغوب فيها، وكذا توضيح كثير من الأمور المتعلقة بالقضايا المجتمعية الملحة والطارئة، وتبصير قطاعات المجتمع باتجاهات المجتمع وموقفه الرسمي من مثل هذه القضايا.

ولعل ما يبرز أهمية الواجبات التربوية التي يمكن أن تقوم بها مثل هذه الوسائل: ما تقوم به العديد من الدول في استخدام وسائل الإعلام في العملية التعليمية؛ وذلك عن طريق تقديم موضوعات تعليمية فعالة من خلال برامج إعلامية موازية تمامًا لما يقدم في المؤسسات التعليمية، أو إنشاء مركز للتلفاز التعليمي مستقل تمامًا عن مؤسسة التلفاز العامة، أو من خلال تقديم برامج مهنية موجهةً هدفَها نحو زيادة مهارات العاملين في المجالات المختلفة.

وعمومًا، فإن الإعلام في المجتمع المسلم ينبغي - حتىٰ يحقق أثره المنشود - أن يتمثل ما يلي:

١. أن تنبثق رسالة الإعلام من شمولية الإسلام وتصوره الكامل عن الحياة.

٢. التزام الصدق، ودعوة الناس إلىٰ الدين الإسلامي الذي أنزله الله؛ قال تعالىٰ فيمن يخالف ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

٣. تضافر جهود الإعلام وتكامل مهماته مع بقية الوسائط التربوية الأخرىٰ.

٤. مخاطبة الناس علىٰ قدر عقولهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

٥. انتقاء البرامج المناسبة والنافعة؛ وخاصة لكلٍّ من الطفل والمرأة.

٦. إيجاد حلول ناجعة لمشكلات المجتمع والأنماط السلوكية غير المرغوبة، بعد بيان مساوئها وآثارها علىٰ كل من الفرد والمجتمع.

٧. صناعة الأفلام الإسلامية والتاريخية التي تقدم الشخصية المسلمة كما صوَّرها القرآن والسنة، وجسَّدها السلف الصالح، بهدف توضيح سلوك حياة المسلم، وبهدف إكساب مهارات التصدي لمشكلات الحياة.

٨. ترشيد المادة الترفيهية لتحقيق أهداف التربية الإسلامية.

٩. تنمية الشعور بالمسؤولية التي يقرها الإسلام: أمام الله، وأمام الضمير، ثم أمام المجتمع؛ وذلك من خلال الكلمة الصادقة التي تنتقد كل باطل فتدمغه، وتكفل كل حق وتنشره.

١٠. الاهتمام الزائد بالبرامج الإسلامية ذات الجهود المنسقة فيما بينها لإبراز رسالة الإسلام علىٰ الساحة الثقافية، من خلال توضيح الإعجاز والعطاء القرآني الممتد، ومراعاته لحقوق الإنسان فيما يخص كلاً من الرجل والمرأة والطفل، وكل

ما من شأنه تزكية الفرد وربطه بدينه ووطنه وأمته.

١١. مواصلة الجهود لتنقية التراث العربي والإسلامي من كل الشوائب أو التشوهات أو الافتراءات التي لحقت بالأحداث أو الشخصيات على مر التاريخ، وزيادة العناية بجمع التراث وتحقيقه ونشره في طبعات ميسرة وبأسعار مناسبة للشباب.

١٢. المواجهة العلمية المنهجية المستمرة لكل ما ينشر أو يذاع في الخارج من افتراءات وادعاءات حول التراث الإسلامي.

ورغم ما تقوم به وسائل الإعلام من وظائف ومهمات، إلا أنه قد توجد بعض العوامل التي تؤثر سلبًا عليها، مما يعوقها عن أداء رسالتها على الوجه الأمثل، ولعل أهم هذه العوامل تتمثل في:

١. بث وسائل الإعلام لرسائل مناقضة لتلك التي يتلقاها الفرد في الأسرة أو المدرسة.

٢. انتشار برامج العنف وألعابه.

٣. نشر الشائعات والخرافات والأخبار الكاذبة، وتشويه الحقائق.

٤. تناول بعض فئات المجتمع بالسخرية، أو التقليل من هيبتهم على الأقل.

٥. ضعف التحكم فيما تبثه القنوات الفضائية من مواد مخالفة لتعاليم الدين الإسلامي.

٦. التأثير الغربي في توجيه الإعلام في المجتمع المسلم لخدمة أهدافه ومصالحه.

٨ – أساليب التربية:

لقد رسم الإسلام للتربية منهجًا متكاملاً يتناول الإنسان من جميع نواحيه، وقد تعدَّدَتْ أساليب هذا المنهج ووسائله لتحقيق أهداف التربية الإسلامية لتشمل علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

١) القدوة أو الأسوة الحسنة:

تُعدُّ القدوة التي يقتدي بها الإنسان من أهم المؤثرات في تربيته؛ لأنها تبني المرء إن كانت صالحة خيرة، وقد تهدمه إن كانت سيئة شريرة. لذا يؤكدها القرآن الكريم تأكيدًا قويًا لما لها من أهمية في مسلك الإنسان ثم تقرير مصيره؛ يقول تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. والقرآن إذ يركز علىٰ ضرورة الاقتداء بالرسول ﷺ باعتباره أسوة حسنة، فإنه لا بد أن يتخذ كل داعية إلىٰ الله من هذه القدوة طريقًا لتحقيق أهدافه؛ فعليه أن يتمثل المنهج الذي يعلمه ويربي به حيث يربي علىٰ هديه، ولا يظهر منه تناقض بين قوله وعمله، وإلا فإن التربية تنقلب إلىٰ حفظ وتلقين دون أي أثر عملي لها.

ويؤكد علماء النفس أن للقدوة أثرًا كبيرًا في التربية؛ لأن النموذج المحتذَىٰ يجذب الانتباه إلىٰ جوانب الموقف التعليمي، وبناء عليه فينبغي علىٰ القائمين بالتربية أن يتعرفوا علىٰ القيم التي ينبغي أن تغرس فيمن يقومون بتربيتهم ويجعلون من أنفسهم قدوة ونماذج تُحتذىٰ، ولا شك أن القدوة الحسنة هي أفضل وسائل التربية وأقربها إلىٰ النجاح في بناء شخصية المسلم؛ فبالقدوة يتعلم الطفل الصلاة ويواظب عليها عندما يرىٰ والديه يواظبان علىٰ أدائها في أوقاتها، وبالقدوة يتعود الطفل

أداء الحقوق كاملة، وبالقدوة يشبّ الطفل علىٰ الصفات الحميدة التي وجدها في أهله وفي مدرسته وإخوته الكبار، وهكذا.

٢) الموعظة والنصح:

إن المستقرئ للقرآن الكريم يجد أنه كله تربية وموعظة، فخير موعظة هي موعظة القرآن، والملحوظ في الموعظة القرآنية أنها صدرت من حكماء كبار أو والدين أو أنبياء ورسل، وقد تصدر عن الله للعباد كما في موعظة الله لنوح، وقد تأتي الموعظة من الأصغر للأكبر سنًا كما في موعظة إبراهيم لأبيه، وهذا يدل علىٰ أنها طريقة عظيمة من طرق التربية الإسلامية ما دامت نابعة من عقيدة صالحة ومؤمنة بالله.

وحتىٰ تكون الموعظة والنصح مؤثرين بالغي التأثير في نفس المخاطب، ينبغي أن يُؤخذ في الاعتبار الفطرة في الإنسان الذي هو علىٰ استعداد لأن يصغي، ويرغب في سماع النصيحة من محبيه وناصحيه، فما لم يكن النصح والوعظ صادرًا من القلب وإلىٰ القلب، فتأثيره يكون ضعيفًا أو معدومًا تقريبًا.

ويعد هذا الأسلوب من أكثر الأساليب التربوية تداولاً بين الآباء والمربين، وتستوعبه أشكال كثيرة ومختلفة؛ كخطب الجمعة ونصائح الآباء وتوجيهات المربين، وعلىٰ المعلمين والآباء وخطباء المساجد وغيرهم عند استخدام الموعظة والتوجيه المباشر أن يتوافر لديهم الصدق في القول والعمل والإخلاص في النصيحة حتىٰ يكون لها أثر فعال في التربية الأخلاقية.

٣) التربية بالقصة:

للقصة أثر عظيم في نفوس المتلقين وخاصة إذا وضعت في أسلوب عاطفي مؤثر، وعندما تكون ذات قيمة، ويكون لصاحبها تأثير وشهرة. والقصة القرآنية من طرق

التربية الإسلامية المؤثرة والفعالة، ذلك أن شخصيات هذه القصص واقعية لكل عصر، وعليه فإن المربي الجيد هو الذي يمكنه أن يستثمر هذه المواقف وتلك الشخصيات في تحقيق أهداف التربية الإسلامية.

ولقد سلك رسول الله ﷺ وهو يربي الأمة المسلك القرآني نفسه، فكان القصص النبوي رافدًا من روافد التربية الإسلامية، فيه القصة القصيرة، وفيه الطويلة الواضحة المؤثرة، ومن أمثلة القصص النبوي قصة الرجل الذي ملأ خفه ثم أمسكه بفيه ليسقي الكلب، فشكر الله له فغفر له[1]. ففي هذه القصة القصيرة يشير ﷺ إلىٰ أن المعاملة الطيبة والرفق والشفقة أمور ليست مطلوبة من الإنسان إلىٰ الإنسان فحسب، بل مطلوبة أيضًا من الإنسان للحيوان ولكل ذي حياة، ومن ثم فإن للقصص القرآني والنبوي أثرًا كبيرًا في غرس القيم الأخلاقية المُرغَّب فيها في نفوس النشء والشباب.

٤) الأمثال والأشباه:

تؤدي الأمثال والتشبيهات مهمة بالغة التأثير في العواطف وفي السلوك الإنساني فيما لو استعملت بحكمة وفي الظروف المناسبة، ولعل هذه الطريقة يمكن أن تنسحب علىٰ استخدام التربية للوسائل التعليمية بكافة أشكالها؛ حيث تستخدم الخبرة العرضية أو البديلة عن الخبرة الأصلية أو المباشرة مع التدرج في مستويات الخبرة، ولذلك أبرزها القرآن واهتم بضرب الأمثال؛ قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: ٢١]، ويوجهنا القرآن الكريم إلىٰ استخدام الأمثال باعتبارها طريقة فعالة لتحقيق الأهداف التربوية، فهي أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ وأقوىٰ في الزجر وأقوم في الامتناع. وقد أكثر الله تعالىٰ من الأمثال في القرآن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٦٣).

للعبرة والتذكرة، وقد ضربها النبي ﷺ في حديثه، واستعان بها الداعون في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة، ويستعين بها المربون ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق ووسائل التربية في الترغيب أو الترهيب أو التغيير في المدح أو الذم.

٥) الترغيب والترهيب أو الثواب والعقاب:

قرر القرآن مبدأ الثواب والعقاب؛ فيثاب المصيب علىٰ إصابته، ويعاقب المنحرف علىٰ انحرافه. والتربية الإسلامية تُقِرُّ العقوبة علىٰ الانحراف والإثابة علىٰ الصواب، إلا أن العقوبة هنا مشروعة لتعديل السلوك وما عجزت الطرق الأخرىٰ عن تكوينه وتعديله؛ فربما تستطيع العقوبة والثواب أن تقوم بهذا التكوين والتعديل، ومن الحكمة القرآنية أنه يستعمل قبل إيقاع الثواب أو العقاب أسلوب الترغيب والترهيب.

وهذا الأسلوب يُعَدُّ من الأساليب التربوية التي لا يستغني عنها المربي في كل زمان ومكان، ولا يمكن أن تحقق التربية أهدافها ما لم يعرف الإنسان أن هناك نتائج مؤكدة وراء عمله وسلوكه؛ فإن أجاد المتعلم فإنه يثاب إثابة حسية ومعنوية قريبة من حياته حتىٰ تنتج أثرها فعلاً، أما إذا وقع خطأ فإنه يسامح ويعفىٰ عنه أولاً، ثم إذا تكرر الخطأ فإن العقوبة هي الحل؛ ولعل هذا مستنبط من قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾[النساء: ٣٤]. فالرجل يمارس هذا الحق بفضل قوامته علىٰ المرأة كما يمارسه المعلم علىٰ المتعلم بفضل قوامة المعلم علىٰ المتعلم.

وعلىٰ هذا الأساس يتضح أن الترغيب نوعان: معنوي ومادي، ولكلٍّ درجاته؛ فابتسامة الرضا والقبول، والتقبيل والضم والثناء وكافة الأعمال التي تُبهج الطفل هي ترغيب في العمل. وقد يكون تقديم المثوبة المعنوية علىٰ المادية أولىٰ؛ حتىٰ نرتقي

بالطفل عن حب المادة، وأحيانًا يُفضَّل أن تكون المثوبة من جنس العمل؛ فإن كان العمل ماديًا نكافئه ماديًا والعكس بالعكس.

وهناك ضوابط خاصة تكفل للمربي نجاحه في استخدام الثواب أو العقاب، منها:

١. أن يكون الترغيب خطوة أولىٰ يتدرج الطفل بعدها إلىٰ الترغيب فيما عند الله من ثواب دنيوي وأخروي، فمثلاً يرغب الطفل في حسن الخُلق بالمكافأة ثم يقال له: أحسن خلقك لأجل أن يحبك أبوك وأمك، ثم يقال: ليحبك الله ويرضىٰ عنك. وكذلك الترهيب؛ فإن له درجات تبدأ بتقطيب الجبين ونظرة الغضب والعتاب، وتمتد إلىٰ: المقاطعة والهجر، والحبس، والحرمان من الجماعة أو الحرمان المادي، والضرب، وهو آخر درجاتها.

٢. أن لا تتحول المكافأة إلىٰ شرط للعمل: ويتحقق ذلك بأن لا يثاب الطفل علىٰ عمل واجب؛ كأكله أو ترتيبه غرفته، بل تقتصر المكافأة علىٰ السلوك الجديد الصحيح، وتكون دون وعد مسبق؛ لأن الوعد المسبق إذا كثر أصبح شرطًا للقيام بالعمل.

٣. أن تكون بعد العمل مباشرة في مرحلة الطفولة المبكرة، وفي ذلك إنجاز للوعد حتىٰ لا يتعلم الكذب أو إخلاف الوعد، وفي المرحلة المتأخرة يحسن أن نؤخر المكافأة بعد وعده ليتعلم العمل للآخرة، ولأنه ينسىٰ تعب العمل فيفرح بالمكافأة. وكذلك يجب إيقاع العقوبة بعد الخطأ مباشرة مع بيان سببها وإفهام الطفل خطأ سلوكه؛ لأنه ربما ينسىٰ ما فعل إذا تأخرت العقوبة.

٤. الاعتدال: فإذا كانت العقوبة هي الضرب فينبغي أن يسبقها التحذير والوعيد، وأن يتجنب الضرب علىٰ الرأس أو الصدر أو الوجه أو البطن، وأن تكون العصا غير غليظة، ومعتدلة الرطوبة، وأن يكون الضرب من واحدة إلىٰ ثلاث إذا كان دون

البلوغ، ويفرقها فلا تكون في محل واحد، وإذا ذكر الطفل ربه واستغاث به فيجب إيقاف الضرب؛ لأنه بذلك يغرس في نفس الطفل تعظيم الله. كما يجب أن يتولىٰ المربي الضرب بنفسه حتىٰ لا يحقد بعضهم علىٰ بعض. كما يجب علىٰ المربي أن يبتعد عن السب والشتم والتوبيخ أثناء معاقبته للطفل؛ لأن ذلك يفسده ويشعره بالذلة والمهانة، وقد يولد الكراهية، كما أن علىٰ المربي أن يبين للطفل أن العقاب لمصلحته لا حقدًا عليه.

٥. مراعاة الفروق الفردية: فلا بد أن يتناسب الثواب والعقاب مع عمر الطفل، ومع مقدار الخطأ، ومع شخصية الطفل، ومع جنس الطفل.

٦) التربية بشغل أوقات الفراغ:

من طرق التربية: إفراغ الطاقة التي تتجمع في النفس عن طريق الجسم؛ إذ إن الإنسان -بوصفه كائنًا عضويًا- جهاز معقد من الطاقة يستمد طاقته من الغذاء الذي يتناوله، ليصرفها بعد ذلك في أغراض عدة مثل الدورة الدموية، والتنفس، والهضم، والنشاط العضلي، والإدراك والتذكر والتفكير، وهذه الطاقة إذن يمكن أن يستفاد منها في عمل الخير، أو توجه لغيره، أو بمعنىٰ آخر تصلح للبناء وللهدم.

وقد حرص القرآن علىٰ توجيه هذه الطاقة النفسية فيما ينفع الإنسان لا فيما يضره؛ فيمكن للمسلم أن يستثمر فراغه باستمرار في التعلم والتزود بالمعارف العامة والمتخصصة، فيتردد علىٰ المكتبات العامة، أو علىٰ الندوات وقاعات المحاضرات، وذلك انطلاقًا من الأمر الإلهي ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، ويمكنه إلىٰ جانب ذلك استثمار هذا الوقت في ذكر الله بقلبه ولسانه والتدبر في خلق الله وقراءة القرآن أو

سماع تلاوته، ويمكنه أن يمارس الرياضة البدنية بالاشتراك في النوادي أو في الرحلات، ويمكنه أن يشترك في الخدمات العامة التي تهدف إلىٰ ترقية المجتمع المسلم ومحو أمية أبنائه وإصلاح ذات البين بين المسلمين. وبهذا لا يجد المسلم من وقته ما يسوقه إلىٰ الشر أو يجرفه إليه كما في الحكمة المأثورة: (نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل)[1].

٧) الأحداث الجارية:

الحياة الإنسانية كلها مواقف وأحداث، والإنسان في تفاعل مستمر مع هذه المواقف طالما هو علىٰ قيد الحياة، والمربي البارع لا يترك أحداث الحياة تمر أمامه دون أن يستفيد مما فيها من عبر ومواعظ ودروس؛ فيقدمها لأبنائه في حينها.

وتمتاز الأحداث الجارية في الحياة عن غيرها من وسائل التربية بأنها تحدث في النفس أثرًا كبيرًا وتنفعل معها النفس الإنسانية انفعالاً خاصًا، ولقد قام المنهج الإسلامي في التربية -كما في غزوة حنين- باستثمار الأحداث في التوجيه والتعليم، وتصويب الأخطاء، وفي تربية النفوس، وهكذا حتىٰ يتحقق هدف التربية الأعلىٰ: العبودية لله.

٨) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الإنسان ذو إرادة حرة، وما دام الفرد الإنساني عضوًا في مجتمع فلا بد أن تكون هناك حدود لحريته تحددها مصلحة المجتمع، وعلىٰ هذا الأساس يفرض القرآن ضرورة التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر، وهو عمل يأتي من جانبين:

---

(١) الجواب الكافي لابن القيّم، ص ١٦٥.

فكل إنسان يتواصىٰ مع أخيه الإنسان في سبيل دفع عجلة الحياة إلىٰ سبيلها المنشود؛ إذ إن كلنا معلم وكلنا يتعلم في كل الأوقات، ولا يستغني بعضنا عن بعض؛ صغيرنا يتعلم من كبيرنا، وكبيرنا يتعلم من صغيرنا.

وهذا هو سبب خيرية الأمة كما قال تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٩) التربية بالعادة:

الإسلام منهج واقعي؛ فهو يعلم أنه إذا قام الإنسان بعمل شيء بطريقة منظمة أصبح عادة، والتعود يسهّل الأمور كثيرًا، فالصانع يتعود عملاً معينا يقوم به فيصبح عادة والزارع كذلك...إلخ.

والتربية بالعادة في الإسلام تحقق الترابط الاجتماعي من خلال تحويلها من عمل فردي إلىٰ عمل جماعي؛ كما يحدث في الصلاة والصيام، علىٰ سبيل المثال: انظر إلىٰ المساجد في صلاة الجمعة، وكذلك في رمضان. فعندما تتحول العادة إلىٰ عمل جماعي فإنه يضمن لها الدوام والاستمرار والحيوية، والمربي الواعي هو الذي يزرع في أبنائه التعود علىٰ أعمال الخير، والفلاح في أمور الدين والدنيا.

والتربية الإسلامية تستخدم العادة وسيلة من وسائلها، فيتحول الخير كله إلىٰ عادة تقوم بها النفس من غير جهد، وبغير كد وبغير مقاومة. وينشئ الإسلام مجتمعًا تعيش فيه الفضائل والقيم الإسلامية، وبذلك تصبح العادة عملاً فرديًا وارتباطًا جماعيًا في آن واحد، كما ينشئ منها نظامًا اجتماعيًا قوي الأسس متين البنيان.

١٠) الممارسة العملية:

للواقع العملي أثر بالغ في ترسيخ المفهوم النظري في نفس من يعاينه؛ قال تعالىٰ حكاية عن طلب إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وكان النبي ﷺ يعطي النموذج المثالي للممارسة العملية أمام أصحابه، ويأمرهم بنقل ما رأوه إلىٰ الآخرين، وتعليمهم كما تعلموا، ومن هذا قوله ﷺ: «**وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»(١). وهكذا ستظل أي تربية نظرية حبراً علىٰ ورق ما لم تنقل إلىٰ الواقع التطبيقي؛ لأن مرور الفرد بالخبرات المباشرة يوفر له أسباب الفعالية والمشاركة؛ بما يتضمنه ذلك من: تفاعل مع الخبرة، ونشاط وانتباه، وتعلم بالعمل، وتعلم ذاتي يشجعه علىٰ التعلم المستمر.

وفضلاً عما سبق، فإن ثمة أساليب أخرىٰ للتربية مثل: الحوار، الإقناع، التدرج،...إلخ. ولأهمية هذه الأساليب للداعية المربي، فسيعرضها الفصل الرابع من هذا الكتاب تفصيلاً.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٣١).

المبحث الثاني
التربية الإسلامية

تشمل التربية الإسلامية -بصفتها علمًا تربويًا- فروعًا عديدة تعد بمثابة علوم فرعية لها؛ مثل: أصول التربية الإسلامية، وتاريخ التربية الإسلامية، وفلسفة التربية الإسلامية، والفكر التربوي الإسلامي...إلخ.

وإذا كانت الأسس التربوية المستمدة من الأصلين الكريمين:

(القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) تمثل المجال الأصولي في التربية الإسلامية، فإن الفكر التربوي الإسلامي يمثل المجال الاجتهادي، ولا يمكن أن نستغني في دراسة التربية الإسلامية عن كلا المجالين؛ لأن الأصول الإسلامية للتربية المتمثلة في القرآن والسنة تمثل المرجعية الأساس التي نحتكم إليها إسلاميًا في معالجة الموضوعات التربوية، والفكر التربوي الإسلامي يمثل الأصول الاجتهادية للتربية الإسلامية.

ولعله من المفيد في البداية أن نشير إلىٰ أن التربية الإسلامية نظام تربوي متكامل يقدم التصور الإسلامي لعلوم النفس والتربية؛ لأنه إذا كان الدين الإسلامي نظامًا متكاملاً للحياة، فمن البَدَهي أن التربية المستمدة من هذا الدين ينبغي أن تمثل نظامًا متكاملاً وشاملاً لكل جوانب التربية والتعليم.

واضح أن التربية الإسلامية هي علم تربوي يعالج كل مفاهيم التربية وقضايا التعليم من المنظور الإسلامي، وهي بهذا الفهم تشمل العديد من العلوم أو المواد التربوية، منها:

١-أصول التربية الإسلامية: وهو علم يهتم بدراسة الأصول الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية والنفسية للتربية من المنظور الإسلامي.

٢-تاريخ التربية الإسلامية: ويبحث هذا العلم في التطبيق العملي للتربية الإسلامية خلال العصور التاريخية المختلفة.

٣-فلسفة التربية الإسلامية: وهو علم يبحث في نظرة القرآن والسنة للقضايا والمفاهيم التربوية المختلفة التي يتناولها فيلسوف التربية، مثل: النظرة إلىٰ طبيعة الإنسان والمعرفة والقيم...وغيرها من الموضوعات التي تشكل إطارًا لفلسفة تربوية من منظور الإسلام.

٤-الفكر التربوي الإسلامي: ويدرس هذا العلم الأعمال الفكرية المختلفة لواحد أو أكثر من مفكري الإسلام لاستطلاع آرائهم في القضايا التربوية.

وبعد تلك المقدمة المختصرة، يتبين لنا أن التربية الإسلامية تعني: **(الآراء والمبادئ والمفاهيم والممارسات التربوية المستمدة من الأصول الإسلامية بالمناهج التربوية مستهدفة تربية إنسان عابد عامل طائع مؤتمر بأوامر الله مُنْتَهٍ عن نواهيه)**.

والتربية الإسلامية بذلك علم تربوي قائم علىٰ الأسس الشرعية وفقه الواقع الإسلامي، ولا بد له من متخصصين يجمعون بين علوم الشريعة وعلم التربية، فلا

يكفي التخصص في علم واحد منهما كما نرىٰ في الساحة التعليمية والإعلامية التي تشهد كثيرًا من الذين قدموا بعض المطبوعات المتداولة تحت اسم (التربية الإسلامية)، وربما كان فيها ما لا يرضي الله ولا يستقيم مع المنهج العلمي، كما أنها تفرض الالتزام بأصول الشريعة وبالمنهج التربوي وبالمعالجة الإسلامية لقضايا التربية عن طريق العقل المنضبط بأصول الشرع والتحليل العلمي، بعيدًا عن الألفاظ الخطابية والعبارات الرنانة التي تناسب العامة لا طلاب العلم.

وعطفًا علىٰ هذا التعريف يتناول هذا المبحث العناصر الأربعة الآتية:

- **مصادر التربية الإسلامية.**
- **أهداف التربية الإسلامية.**
- **جوانب التربية الإسلامية.**
- **خصائص التربية الإسلامية.**

١- مصادر التربية الإسلامية:

تستمد التربية الإسلامية -بصفتها علمًا تربويًا يجمع بين الشريعة والتربية- شموليتها من مصادر التشريع الإسلامي، والتي تستنبط منها جميع أنظمة الحياة. وسنعرض إجمالاً لهذه المصادر على النحو الآتي:

١) القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو أساس الدين، ومصدر التشريع، وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، وهو كلام الله الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، بألفاظ عربية وأساليب واضحة تحدَّتْ العرب رغم فصاحتهم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

ولقد توارثت الأمة حفظ القرآن ودراسته، والعمل به وتدوينه، ونقله بالكتابة على مر الدهور؛ جيلاً بعد جيل من غير تحريف أو تبديل، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر: ٩].

.والقرآن الكريم كتاب هداية يشتمل على أصول الشريعة وقواعدها من الحلال والحرام، وفيه من العلوم والمعارف ما أثبت العلم الحديث كثيرًا من حقائقها المغيبة، وفيه من حقوق الإنسان ما ينشده أي مجتمع؛ ففيه التفصيل والتبيان لكل شيء: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[الأنعام: ٣٨].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن التربية الإسلامية ينبغي أن تكتسب شموليتها من شمولية مصدرها نفسه؛ فهي نظام شامل يضم جوانب الحياة كلها: (عَقَدية، وعبا

دية، ووجدانية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وثقافية). كذلك فإن تدعيم الثقافة الإسلامية يتطلب من كافة المؤسسات التربوية العودة إلىٰ ذلك المصدر الأساس -حتىٰ لو لاقت الكثير من العناد والاضطهاد- إذا أرادت الأمة الإسلامية سبيل العزة والرقي التي فقدوها بعد هجرهم للقرآن وتعاملهم معه تعاملاً شكليًا فحسب؛ فالقرآن الكريم هو معين التربية الأول، بل إنه معين الحياة كلها.

٢) السنة النبوية:

يقصد بالسنة النبوية: ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة أو سيرة. والسنة بذلك - إذا نقلت إلىٰ الأمة الإسلامية بسند صحيح - هي الأصل الثاني من أصول الأدلة الشرعية، ومنزلتها تلي منزلة القرآن الكريم في الحجية، ومن ثم يجب إتباعها كالقرآن، وفي هذا يقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: ٧].

وبهذا، فإن السنة لا تعارض القرآن بوجه ما؛ لأن الله تعالىٰ افترض طاعة رسوله، وجعلها من طاعته عز وجل؛ قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وعلىٰ هذا لا يحل لمسلم علم ما في الكتاب وما في السنة أن يخالف أيًا منهما، أي أنه لا فرق بين حكم أوحىٰ الله به في القرآن الكريم وحكم صدر من رسوله الأمين ﷺ ؛ فقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: ٣ - ٤].

٣) الاجتهاد:

القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران التشريعيان اللذان يستنبط منهما الفقهاء الأحكام الشرعية لأفعال المكلفين، فإذا لم يجد الفقيه فيهما بغيته يجتهد، وما أكثر

الآيات القرآنية التي تدعو لإعمال العقل، ومن ثم الاجتهاد، الذي يعتبر جوهر الإسلام واستمرار رسالته وصلاحيتها عبر الزمان والمكان.

ويتضح لنا من هذا أن التربية الإسلامية تشمل أيضًا اجتهادات المسلمين في الحقل التربوي مهما كانت تخصصاتهم أو مذاهبهم أو مناهجهم أو بيئاتهم أو...إلخ. وإسهامات المسلمين في حقل التربية غزيرة لكنها -بالمعايير الإسلامية-تجمع بين الصحيح والسقيم، بخاصة كتابات البعض في عصور الضعف والتخلف؛ ففيها تكرار فضلاً عن آراء تحمل أوهامًا تسربت من ثقافات غير إسلامية وقَبِلَها المسلمون.

وهذا الفكر التربوي الذي قدمه المسلمون لا نقبله مطلقًا، ولكن نأخذ منه ما يتفق مع القرآن الكريم والسنة الشريفة، وما يحقق المنفعة في تربية المسلمين، فالانتقاء والتحليل لآراء المسلمين أمران ضروريان ، وهذا اتجاه أكده القرآن الكريم الذي بيّن أهمية الدليل والبرهان وإعمال العقل عندما نتناول الاجتهادات البشرية القابلة للصواب والخطأ؛ إذ لا عصمة لغير أنبياء الله وخاتمهم معلم هذه الأمة عليه الصلاة والسلام.

وللأسف قد نرىٰ من المسلمين من يذكر آراء تربوية لا تمت إلىٰ الكتاب والسنة بصلةٍ، وإنما تنسب إلىٰ بشر يخطئون ويصيبون، ويقطع بأنها الصواب في مجال التربية الإسلامية لأن اسم صاحبها يُسبق بأحد الألقاب الدينية أو يُنسب إلىٰ أحد المذاهب، وهذا لون من التعصب يرفضه الإسلام؛ لأن الكتاب والسنة هما المعيار لكل صواب، وهما المقدمان علىٰ كل اجتهاد.

ولا شك أن الاجتهاد ضروري في حقل التربية الإسلامية، خاصة وأن المستجدات التربوية تتجدد أحيانًا بتجدد الزمان والمكان، ومن ثم فالمصادر

الفرعية توسع دائرة التربية الإسلامية بشرط الالتزام بالضابطين السابقين، وأعني بذلك أن يكون الاجتهاد تحت مظلة الكتاب والسنة، وأن يحقق نفعًا للمسلمين، وبهذا تكتسب التربية الإسلامية مرونة أمام المتغيرات، فتغير وتجدد من أساليبها وطرائقها مع المحافظة علىٰ مبادئها والالتزام بأهدافها الأساس النابعة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وبالمحافظة والتجديد تبقىٰ التربية الإسلامية السبيل الأوحد لنهضة إسلامية تعلي من شأن الدين وتدعو إليه وتنفع المسلمين في الأولىٰ والآخرة.

٢ – أهداف التربية الإسلامية:

الأهداف التربوية هي منطلق النشاط التربوي في الإسلام ولا يمكن تفسير هذا النشاط بغير الرجوع إلىٰ الأصول الإسلامية التي نبع منها التصور الإسلامي للتربية وأثرها في المجتمع.

يقدم لنا القرآن الكريم الغاية والهدف الكلي للخلق والنشاط الذي يملأ حياة الإنسان كما يبدو من قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالإنسان لم يخلق إلا للعبادة، ونشاطاته التي يقرها الإسلام لا تخرج عن نطاق العبادة، وليست العبادة التي خلق الله الإنسان لها محصورة في العبادات المفروضة فقط، وإلا كانت التربية الإسلامية تربية أخروية لا تهتم بغير الآخرة والعبادات المتصلة بها، ولما كانت التربية الإسلامية تربية للدنيا والآخرة فإن العبادة في الآية الكريمة كما يقول ابن تيمية هي: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة؛ فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلىٰ

الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة)[1].

ويعني ذلك تربويًا أن الهدف الكلي للتربية في الإسلام هو: **تربية العابد العالم، المؤتمِر بأوامر الله، المنتهي عن نواهيه، المرتبط بمبادئ الإسلام في كل سلوكياته.**

ومن الطبعي أن يكون الإنسان العابد عاملاً عالمًا؛ لأن الإنسان خليفة في الأرض، والخلافة تقتضي العمل وتحمل الأعباء، والعبادة ترقىٰ بالعلم في الإسلام، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر: ٢٨]، ولا يحظىٰ الإنسان بالثواب علىٰ عمله ولا قبول لعبادته إلا بصدق النية والإخلاص في العمل وإتقانه؛ كما ينبئ بذلك الحديث الشريف: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ**»[2].

ويتحقق الإتقان في الأعمال أو العبادات التي يحبها الله بالعلم والمهارة والتخصص، ولذا كان المسلم مطالبًا بأن يتعلم وأن يبحث عن أرقىٰ الأساليب لأداء عمله في حدود قدرته واستطاعته: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦]، ومن ثم كان تحسين الأعمال وأداؤها بإخلاص أمرًا أساسًا في الإسلام يرتبط بالعلم، وكان تعلم المهارات والصنائع وسبل التقدم وغيرها من العلوم التي تلزم المسلمين في إقامة مجتمع الإسلام القوي في أرض الله -جل شأنه- واجبًا عينيًا علىٰ المجتمع بجملته، وواجبًا كفائيًا علىٰ الأفراد الذين منحهم الله مواهب وقدرات يتميزون بها عن الآخرين.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١).

وفي إطار هذا الهدف الكلي للتربية الإسلامية - تعريف الإنسان بخالقه وبناء العلاقة بينهما علىٰ أساس من ربانية الخالق وعبودية المخلوق - تقدم لنا النصوص الإسلامية أهدافًا فرعية أو جزئية نشير إلىٰ أهمها بإجمال:

١) الأهداف الخلقية:

يبتغي الإسلام بهذه الأهداف كمال الخُلُق، وتزكية النفس، وترويضها علىٰ الطاعة وفعل الخير، وكفها عن محارم الله. وطريق النفس إلىٰ ذلك: العبادة، وذكر الله، ومغالبة الهواجس والوساوس التي تنأىٰ بالإنسان عن منهج الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].

ويشيد القرآن الكريم بما كان عليه الرسول ﷺ من خلق عظيم لا يعرف الفظاظة ولا غلظة القلب ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ويقرر الرسول المربي ﷺ أهمية هذه الأهداف الخلقية في قوله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١). وقوله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(٢).

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرىٰ (٢١٣٠١)، وأخرجه أحمد (٨٩٥٢) بلفظ: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤).

وتأسيسًا علىٰ هذا، فإن الأهداف الخلقية تؤكد علىٰ:

- تطوير سلوك الإنسان وتغيير اتجاهاته بما ينسجم مع القيم والأخلاق الإسلامية.

- تربية المسلم علىٰ حسن التأسي والاقتداء بالنبي ﷺ.

- تربية المسلم علىٰ الإخلاص والإحسان ومراقبة الله جل في علاه.

٢) الأهداف الاجتماعية:

وتتبدَّىٰ هذه الأهداف في حرص الإسلام علىٰ إقامة مجتمع متماسك قائم علىٰ العدل والرحمة والتعاون والتعاطف بين الأقارب والأباعد، لذا حث علىٰ رعاية الآخرين في مواقع مختلفة: أقارب، أو جيران، أو إخوة في الله من عامة المسلمين؛ يظهر ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الروم: ٣٨]، وقول الرسول ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيُوَرِّثُه**»(١)، وقوله ﷺ: «**من كان معه فضل ظهر فليعد به علىٰ من لا ظهر له، ومن كان معه فضل مال فليعد به علىٰ من لا مال له**»(٢).

وعلىٰ هذا، فإن من الأهداف الاجتماعية:

- ممارسة المبادئ والقيم الاجتماعية التي يدعو إليها الإسلام.

- تكوين الشعور بالمسؤولية والتكافل الاجتماعي.

- معالجة الأمراض الاجتماعية التي تفكك أوصال المجتمع.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠١٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٦١٤).

٣) الأهداف العقلية والمعرفية:

وتظهر هذه الأهداف في توجيه القرآن الكريم المسلمين إلىٰ إعمال عقولهم وتأمل ما في الكون من آيات الله، والانتشار في الأرض كشفًا عن مجاهلها وثرواتها، وبحثًا عن الرزق الذي أودعه الله فيها، كما يبدو في قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله عز وجل: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[الذاريات: ٢١]، وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[يونس: ١٠١]، وقوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥].

فالآيات الكريمة تدعو إلىٰ البحث العلمي وتوظيف العقل لاكتشاف ما في الكون والنفس من أسرار وكنوز تنبئ عن عظمة الخالق، وتفيد الإنسان عندما يبصر نفسه ويعرف الكون المحيط به.

وبناءً علىٰ هذا، يدعو الإسلام إلىٰ تحقيق الأهداف العقلية والمعرفية الآتية:

- تدريب العقل علىٰ المنهجية العلمية في التفكير.
- تكوين العقلية الناقدة.
- توجيه المسلمين لحمل الرسالة الإسلامية إلىٰ العالم.
- تنمية مهارات الحوار والاتصال والبحث وتطوير الذات.

٤) الأهداف العملية المرتبطة باحتياجات الإنسان ومعاشه:

وفي هذا الإطار يوجه الإسلام المسلمين إلىٰ ارتياد سبل المعاش وتحقيق الاكتفاء الذاتي عن الآخرين دون استغناء عن الناس بالكلية، أو انكفاء علىٰ الذات

كما يفعل الرهبان، وإنما بوسطية متزنة؛ فلا تكالبَ على الدنيا، ولا إهمالَ لها، ويبدو ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[القصص: ٧٧]، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وواضح من الآيتين أن التربية الإسلامية تربي الإنسان وتعده ليعمر الأرض بمنهج الله في ثقة وقوة استعدادًا لحياة أبقى ونعيم دائم في الآخرة للطائعين، وليس معنى ذلك أنها تربية أخروية فقط، إنما هي تربية للدنيا والآخرة؛ تربية للإنسان العابد أينما عاش ملتزمًا بمنهج الله الخالق العظيم الذي يربي مخلوقيه على النهج القويم وهو أعلم بهم من أنفسهم: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[الملك: ١٤].

ويعني هذا: أن التربية الإسلامية ليست تربية للتمتع بالدنيا فقط -كما يفعل بعض المسلمين- وليست انعزالاً عن الحياة وهروبًا منها، ولكنها تربية رهبان الليل فرسان النهار كما كان أصحاب النبي ﷺ.

ومن أمثلة هذه الأهداف:

- إعداد الشخصية المنتجة لا المستهلكة.
- تدريب الإنسان على مواجهة متطلبات الحياة المادية.
- تنمية القدرة على التخطيط واتخاذ القرار.
- تنمية الإحساس والشعور بالجمال.

٣ – جوانب التربية الإسلامية:

ليس ثمة ريب في أن التربية الإسلامية شاملة ومتكاملة ومتوازنة؛ تشمل كل جوانب شخصية المسلم، وهذا يدعونا إلي التساؤل عن مجالات التربية الإسلامية، فإذا كان للتربية الإسلامية أهدافٌ واضحة ومحددة علىٰ النحو الذي ذكرناه، فإنه لا بد أن يكون لها مجالاتها، وهذه المجالات تشكل جوانب شخصية المسلم؛ بحيث لا يطغي جانب علىٰ آخر.

وجوانب الشخصية المسلمة التي تهتم بها التربية الإسلامية جوانب متعددة؛ منها: الجانب العقدي، والجانب الجسدي، والجانب العقلي، والجانب الاجتماعي، والجانب النفسي، والجانب الجمالي، وسوف نشير فيما يلي إلىٰ بعض هذه الجوانب:

١) التربية العَقَدِيَّةُ:

إن التربية الْعَقَدِيَّةَ ما هي إلا مجال واحدٌ من مجالات التربية الإسلامية، إلا أنها أهم هذه المجالات؛ لأنها المحركة للفرد والقوة الدافعة إلىٰ العمل، والموجهة إلي غايات وأعمال سامية.

والتربية العقدية هي أساس الدين وأساس بناء الأمة الإسلامية؛ فبقدر ما تكون العقيدة قوية في الأمة تكون هذه الأمة قوية متماسكة ملتزمة بالسلوك الذي تقتضيه هذه العقيدة.

وتهدف التربية العقدية إلىٰ تكوين إنسان عالم رباني يتعلم لوجه الله لا لنيل الشهادات والحصول علىٰ الوظائف، ولا لكسب المال أو الجاه، بل يتعلم ليعمل

بعلمه وليعلم الآخرين ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلا؛ قال تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[آل عمران: ٧٩].

ومن أهم جوانب التربية العقدية: العمل علىٰ وضع منظار إيماني علىٰ أعين المتعلمين بحيث يستطيعون رؤية عظمة الله وحكمته في كل شيء يحللونه أو يدرسونه في المجالات العلمية المختلفة، حتىٰ يصبحوا كالعالم المتخصص الذي يقول: أينما توجهت ببصري في دنيا العلوم رأيت أدلة الله علىٰ التصميم والإبداع وعلىٰ القانون والنظام تدل علىٰ وجود الخالق الأعلىٰ.

ومن الجدير بالذكر أن نقول: إن تعلم العقيدة غير التربية العقدية؛ فتعلم العقيدة لا يربي الاعتقاد ولا يؤدي بمفرده إلي رسوخ العقيدة، ونقول أيضًا: إن التربية العقدية لا تختص بمرحلة تعليمية معينة وتنتهي بها، بل إنها تشمل كل مراحل التربية والتعليم.

وَثَمَّة وسائل عدة لتحقيق التربية العقدية يمكن إجمالها في الخطوات الآتية:

١. أن نحسن ونطور الطريقة التقليدية التي تقوم علىٰ التلقين الذي لا يبني في الإنسان حركة ولا تفاعلات ولا طاقات، وأن نتبع الطرق الفعالة التي تربي الإيمان الحيوي القوي الذي يدفع صاحبه إلىٰ السلوك الإسلامي الحق.

٢. أن نركز علىٰ الجوانب المؤثرة في العقيدة؛ ومنها:

- الإيمان بالله بوصفه خالق الكون والإنسان، وأنه سخَّر كل ما في الكون للإنسان لينعم به، وليعبده وحده دون غيره.

- الإيمان بالحياة في الدار الآخرة، وأنها الحياة الحقيقية، وأنها دار الجزاء من ثواب وعقاب، وأنها آتية لا محالة -وذلك بالأدلة المقنعة- وأن ذلك أمر تقتضيه الفطرة والعدالة.

- أن قوانين الشرع صادرة عن إرادة إلهية لتستقيم حياة الإنسان، وأن المنهج الذي أنزله الله هو سبيل الفلاح والنجاح والسعادة في الدارين.

تلك أهم الوسائل التي يمكن أن نرسخ بها الأساس العَقَدِي في أذهان أبنائنا وبناتنا وعقولهم ونفوسهم ووجدانهم في مراحل التعليم المختلفة، وهي صالحة لإنشاء جيل قوي يستطيع تحمل الأمانة والمسؤولية تجاه نفسه وأسرته وأمته ووطنه. وليس هناك أفضل من إنسان ينشأ علىٰ معتقد صحيح، وليست هناك تربية أصلح من تربية يكون أساسها عقيدة سليمة صحيحة، والعقيدة الإسلامية هي أصح العقائد علىٰ الإطلاق.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نقول: إن العمل بموجب العقيدة في حياتنا اليومية المتكررة أمر بالغ الأهمية؛ لأن الممارسة اليومية ترسخ العقيدة، ومن هنا فإنه يجب علىٰ المربين والمتعلمين أن يعملوا في حياتهم اليومية وفق عقيدتهم التي يدينون بها، وبهذا يكونون قدوة صالحة لغيرهم أيضًا.

٢) التربية العقلية:

الإنسان هو موضوع التربية، وتنصب التربية علىٰ العقل باعتباره (قوة مدركة في الإنسان خلقها الله فيه ليكون مسؤولاً عن أعماله). والعقل - طبقًا لما جاء في القرآن - من أجلّ نعم الله علىٰ الإنسان، ومن ثم فهو طريق الإنسان إلىٰ الله، والقرآن ينوه

بالعقل ويعول عليه، وباستقراء آيات القرآن نجد أن للعقل وظيفة واضحة تتحدد فيما يلي علىٰ أساس التحليل والتعليل والربط:

- التفكير في أحوال العالم، وسنة الله في الأرض، وأحوال الأمم والشعوب علىٰ مدار التاريخ؛ قال سبحانه: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[الأحزاب: ٦٢].

- التفكير في الحكمة من المعاملات -وما ينبني عليها من إحساس وشعور- مع الناس إدراكًا للعلل والأحكام.

- التفكير العلمي: والقرآن يدعو الإنسان إلىٰ التفكير العلمي والتأثر والتدبر؛ قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وكثيرًا ما تنتهي بعض آيات القرآن بقوله: (لعلكم تتفكرون)، (لعلكم تعقلون). ومنها تتلخص أهداف التربية الإسلامية في الجانب الفكري فيما يلي:

- تنمية الإنسان فكريًا بحيث يكون إنسان عابدًا صالحًا.
- استخدام الحواس في تنمية هذا الجانب.
- تنمية العقل الإنساني وقدراته المختلفة عن طريق الفكر العلمي التجريبي.
- الاهتمام بتربية البصيرة؛ وذلك عن طريق التقوىٰ.

٣) التربية الأخلاقية:

لا شك أن التربية الخلقية ركيزة أساس في التربية الإسلامية؛ لأنها مستمدة من النظرية الأخلاقية الإسلامية القائمة علىٰ الالتزام بالمسؤولية في الدنيا والآخرة؛

فالقيم والأخلاق الإسلامية هي التي تكوّن ضمير الإنسان ووجدانه وسلوكه، فيتسق مع فطرته وعقله اللذين يهديانه إلىٰ الحلال والحرام. والأصول الأخلاقية القرآنية لا تدانيها الأصول الأرضية التي ترسمها الفلسفات الغربية أو الشرقية.

وقد اتفق علماء التربية الإسلامية علىٰ أنه ليس الغرض من التربية والتعليم حشو أذهان المتعلمين بالمعلومات وتعليمهم من المواد الدراسية ما لم يعلموا، بل الغرض أن نهذب أخلاقهم ونربي أرواحهم ونبث فيهم الفضيلة ونعودهم الآداب السامية.

وهدف التربية الإسلامية الأكبر في جميع مؤسساتنا التعليمية ينبغي أن يركز علىٰ غرس القيم الإسلامية والفضائل الخلقية في النفوس؛ لأنها الدعامة الأولىٰ في بناء المجتمع الإسلامي السليم.

٤ – خصائص التربية الإسلامية:

للتربية الإسلامية التي تنبثق من القرآن والسنة خصائص تميزها عن غيرها من أنواع التربية الوضعية قديمها وحديثها، ويمكن الإشارة إلىٰ أهم هذه الخصائص فيما يلي:

١) الربانية:

التربية الإسلامية ربانية المصدر وربانية الوجهة: ربانية المصدر لأنها ليست من وضع بشر يحكمه القصور والعجز والتأثر بمؤثرات الزمان والمكان والثقافة. أما ربانية الوجهة فلأن هدفها الأول هو ربط الناس بالله تبارك وتعالىٰ حتىٰ يعرفوه حق معرفته ويعبدوه حق عبادته، ومن ثم تُزوِّد هذه التربية الإنسان بالحقائق والمعايير الثابتة التي توجه عمله وتقيم حياته بجوانبها المختلفة، ومن ثم تعينه علىٰ عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله؛ فالإسلام حكم الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ [المائدة: ٥٠].

٢) الأخلاقية:

للأخلاق في الإسلام مكان رحيب وأثر عميق، وكما ندد الإسلام بالعلم الذي لا يثمر خلقًا ولا سلوكًا حسنًا، فقد فصَّل أيضًا آدابًا لكل شيء في الحياة - من آداب المائدة إلىٰ بناء الدولة - ومن ثم لا انفصال في التربية الإسلامية بين الأخلاق والعلم والسلوك أو العمل؛ لأن الأخلاق لا تتجزأ، فهي واحدة حتىٰ بين المسلمين وغيرهم.

٣) الإنسانية:

تقوم التربية الإسلامية علىٰ اعتبار أن الإنسان مخلوق مكرم من ربه؛ فكرَّم الله الإنسان بأن جعله خليفة في الأرض، وأنه تعالىٰ سخَّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة. لذا ترعىٰ هذه التربية فطرة الإنسان وكرامته وحقوقه وطبيعته وحاجاته، فتعدل في تكريم الإنسان، بغض النظر عن جنسه أو لونه أو لغته أو موطنه أو طبقته، بل حتىٰ عن دينه نفسه؛ فلكل نفس في الإسلام حرمة تناسبها، ومكانة تليق بها؛ فالتربية الإسلامية تعطي كل ذي حق حقه.

٤) العالمية:

ما دام الإسلام لكل إنسان، فهو عالمي الرسالة التي لا تعرف الحدود ولا الفواصل التي ترسمها علىٰ الأرض القوميات أو العرقيات، وكثيرًا ما يخبر القرآن الكريم أن الرسول ﷺ أُرْسِلَ إلىٰ الناس كافة، وأن القرآن الكريم قد تنزَّل عليه ليقرأه علىٰ الناس كلهم؛ وذلك حتىٰ لا يُحْرَمَ أحد من البشر من خير أراده الله لعباده؛ فالإسلام دعوة عالمية إنسانية، وقد وُضِع في طبيعة الإسلام وأصوله ومبادئه ما يجعله بحق صالحًا للإنسانية في كل عصر ومصر وجيل، ومن أوضح الأدلة علىٰ

ذلك أن تلاميذ الرسول ﷺ كانوا من مختلف الدول والأعراق؛ فأبو بكر وعمر من قريش، وأبو ذر من تهامة، وأبو هريرة من دوس اليمنية، وبلال من الحبشة، وصهيب من الروم، وسلمان من فارس، وغيرهم كثيرون من كافة القوميات والأجناس جمعتهم أصول ومبادئ ومدرسة واحدة، ألا وهي مدرسة الإسلام. وفي ظل هذه الاختلافات والتفاعلات أسهمت التربية الإسلامية في تحقيق السلوكيات القويمة والمعاني السامية لعالمية الإسلام وإنسانيته؛ مثل: استخدام العقل، حب العلم، العدل، المساواة، السماحة، فضيلة العمل، الوفاء بالعهد، الرحمة، الكرامة، قول الحق، الصدق، التواضع، العفاف، الحلم، الحياء، الصبر، العفو، رعاية اليتيم، وغير ذلك من أنواع السلوك التي حث عليها الإسلام وربىٰ المسلمين عليها، والبعد عن: الشرور والموبقات، والظلم، والكذب، والحسد، والربا، والسباب، والسخرية، والطعن في الناس، والتجسس، والغيبة، والنميمة، وغير ذلك من أنواع السلوك التي نهىٰ عنها الإسلام وربىٰ المسلمين علىٰ البعد عنها، ونفَّر منها، فحمل المسلمون الأوائل هذه السلوكيات التي تربوا عليها ونشروها بالقول والتطبيق الفعلي كما فهموا من قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

٥) الرحمة:

تدور التربية الإسلامية حول رحمة الخلق؛ فهي تربية تعكس رحمة هذا الدين وسماحته؛ رحمة للناس وتخليصًا لهم من عبادة العبادة إلىٰ عبادة رب العباد، وتخليص رقابهم من النار، تربية سمتها اللين والشفقة والرأفة؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]،

وأرسل الله نبيه محمدًا ﷺ رحمة للعالمين؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وكانت رحمته ﷺ بالكبار والصغار والنساء والأطفال والدواب والجماد منهجًا يَحتذي به المربون في تربيتهم، حتىٰ المخالفون له ﷺ نالتهم رحمته حتىٰ أدخلتهم في دين الله أفواجًا.

٦) التنوع:

التربية الإسلامية تربية متفائلة فاعلة واقعية، تخاطب العقل وتعتمد عليه في فهم الدين وعمارة الدنيا، فلا تعارض فيها بين العقل والنقل، ولا بين العلم والدين. ومن ثَمَّ، فهي تربية تدعو إلىٰ الاجتهاد والتجديد، وتقاوم الجمود والتقليد، مستمدة من الشريعة التي شرعت لمصالح العباد في المعاش والمعاد، وقامت علىٰ حفظ الأديان والأنفس والعقول والأعراض والأنساب والأموال.

٧) التكامل والشمول:

تتميز التربية الإسلامية بالتكامل فيما بينها؛ فهي تهدف إلىٰ تكامل جوانب الشخصية الإنسانية: الإيمان، والجسم، والعقل، والنفس، والوجدان؛ فالإنسان وحدة متكاملة، وكذلك الكون والوجود. كذلك تتكامل التربية الإسلامية نفسها مع غيرها مثلما عبر الرسول ﷺ عن موقف نبوته مع النبوات الأخرىٰ فقال: «**إن مَثَلي ومَثَل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنىٰ بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟! قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**»[(١)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٥٣٥).

٨- الأصالة والمعاصرة:

تعتز التربية الإسلامية بذاتيتها وتميزها عن غيرها بمصادرها الربانية، وغاياتها الإنسانية، ووجهتها العالمية، وصبغتها الأخلاقية؛ الأمر الذي جعلها ترفض أن تذوب في غيرها وتفقد خصائصها لتسير في طريق غير طريقها المستقيم. ومع هذا الاعتزاز بأصالتها تؤمن بأهمية الاستفادة من الآليات والوسائل المعاصرة، وتوظيفها في تحقيق أهداف التربية الأصيلة.

٩) التوازن:

تحقق التربية الإسلامية التوازن الدقيق في النظرية والتطبيق، وفي تنظيم المعرفة الإنسانية التي تفيد الفرد والمجتمع، والتربية الإسلامية توازن بين تنمية روحانية الفرد وتلبية حاجاته المادية والاجتماعية، ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]؛ فالإسلام جاء لعمارة الدنيا وتحصيل سعادتها، ولا يمكن تحصيل ذلك إلا من خلال الالتزام بأحكام الدين وشرائعه.

١٠) الرُّقيّ:

التربية الإسلامية تربية لِلرُّقِيِّ، ويتخذ هذا الرقي صورًا متعددة؛ فهي تربية للرقي العقلي؛ إذ أنها تؤهل الإنسان إلىٰ البحث عن حقائق الأشياء والتعمق فيها، ورفع كفاءة التفكير لدىٰ الأفراد بما يسهم في تقدم المجتمع، وهي تربية للرقي الروحي الذي يستهدف تعميق إحساس الإنسان بخالقه والكون والحياة، وكذلك تعميق إدراكه لهذه الصلة، والحد من تعلق الإنسان بمادية الكون واستغراقه في الارتباط بها، وهي تربية للرقي النفسي الذي يتمثل في طمأنينة الإنسان ورضاه، والصبر علىٰ

المكاره، وضبط النفس عند التعرض للشدائد، ورفض الصَّغار والمذلة في الحياة، وهي تربية للرقي الخلقي الذي يرتفع بالإنسان إلىٰ مرتبة الصلاح والتمييز بين ما هو خير وما هو شر، والبعد عن الشرور والمساوئ والعدوان علىٰ الآخرين، وهي تربية للرقي العلمي الذي يتمثل في تحسين مقدرة الإنسان علىٰ استخراج كوامن الطبيعة وفهم دقائقها وأسرارها، وتسخير كل ما من شأنه أن يتقدم بالمجتمع في إطار الإسلام بما لا يؤدي إلىٰ الإضرار بالآخرين أو العدوان عليهم، وهي تربية للرقي الذوقي والجمالي بحيث يصبح الإنسان أقدر علىٰ استشعار القيم الجمالية التي يحويها الكون، وأقدر علىٰ تصور الجمال، وإبداع كل ما هو جميل، وهي تربية للرقي الجسمي الذي يستهدف تنمية الجسد وقوة الأعضاء؛ لكي يصبح الإنسان قادرًا علىٰ أداء وظيفته في الحياة والمتمثلة في عبادة الله، وتعمير الكون، والسعي إلىٰ كل ما هو خير، وهي تربية للرقي الاجتماعي المتمثل في تحسين العلاقات والروابط بين الأفراد وكيانات المجتمع، وهكذا فإن الرقي في أي جانب من الجوانب هو خاصية من خصائص التربية الإسلامية، وينعكس أثره علىٰ الأفراد والمجتمع.

١١) المرونة:

بما أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، ويتجاوب مع كل الاختلافات والمتغيرات، فإن هذه الخاصية للتربية الإسلامية تفرض علىٰ الشخصية المسلمة أمرًا في غاية الأهمية، وهو ما يتعلق بأن تُعْنىٰ الشخصية الإسلامية دائما بتطوير نفسها وفق الثوابت التي لا ينبغي المساس بها، وذلك ضروري حتىٰ تخرج المجتمعات الإسلامية من دائرة التخلف التي تردّت فيها، وذلك ما فعله المسلمون الأوائل حين امتدت رقعة الإسلام لتشمل شعوبًا وأممًا ومجتمعات وثقافات وحضارات متباينة في

أديانها ولغاتها وطبائعها وأعرافها وعاداتها، مما حتم عليهم تلبية احتياجات هذا المزيج المتباين، علميًا وتربويًا، وأوجب عليهم مزيدًا من الاجتهاد في المواءمة، وتحرير النوازل، فعدلوا من أنفسهم وتجاوبوا مع المواقف والظروف والمعطيات التي استجدت عليهم، وكان ذلك كله منطلقًا من أصول التربية الإسلامية التي تربوا عليها.

١٢) الاستمرار:

إن عملية التربية والتنمية وتحقيق مهمتها الحضارية لا تتم في يوم وليلة أو بين عشية وضحاها، بل تأخذ زمنًا يطول أو يقصر علىٰ قدر الأهداف والغايات التي يُسْعَىٰ إلىٰ تحقيقها، وعلىٰ قدر عزائم من يقومون بالتربية أنفسهم، ومدىٰ إخلاصهم فيما يقومون به، وعلىٰ قدر استعداد المتلقي ونشاطه وحماسه.

وتلك الديمومة -وهي من خصائص التربية الإسلامية - تكون مستغرقة لحياة الأفراد والمجتمعات علىٰ حد سواء، ومن ثم تنتقل عملية التربية الإسلامية السليمة من جيل إلىٰ جيل دون توقف، وإذا ما توقف جيل عن أداء مهمته، أدىٰ ذلك في الأعم الأغلب إلىٰ تراجع حضاري، وهو ذاته ما حصل في العالم الإسلامي؛ لانقطاع عملية التربية، وتخلي أفراد المجتمع عن القيام بما أُنيط بهم من مهمات، أو أدائها بصورة ضعيفة لا تفي ولا تكفي، وهنا ينقلب تقدم المجتمع تخلفًا. ولقد ترتب علىٰ مبدأ الاستمرارية ما عُرِف عند بعض المفكرين بحتمية التواصل الحضاري؛ فالاستمرار ليس مقصورًا علىٰ المجتمع المحلي (الدول الإسلامية)، بل هو يتعدىٰ ذلك في التربية الإسلامية إلىٰ ربوع العالم؛ انطلاقًا من أمانة الدعوة الإسلامية التي يحملها كل مسلم في عنقه ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلا.

١٣) المثالية والواقعية:

تبدو مثالية التربية الإسلامية واضحة في أنها استطاعت أن تنشئ في واقع الحياة البشرية عددًا كبيرًا من الشخصيات النموذجية الفذة منذ عهد الرسول ﷺ، ولقد تمثلت في تلك الشخصيات المثل العليا والإنسانية بصورة غير مسبوقة، رغم أن تلك النماذج لم تخرج عن طبيعتها، ولم تكلف أنفسها فوق طاقتها، بل قد زاولوا كل نشاط إنساني، ولكن كان ذلك بصورة الإسلام المثالية. ومعرفة هذه الحقيقة أمر بالغ الأهمية؛ إذ يعطي ذلك البشرية أملاً في إعادة المحاولة، بل إن مما ينبغي حينئذٍ التطلع إليه: التشبه بتلك الصورة المثالية.

وعلىٰ الرغم من مثالية التربية الإسلامية إلا أنها واقعية في ذات الوقت؛ فأصولها ومبادئها وممارساتها تخاطب وتتعامل مع بشر يمشون علىٰ الأرض، لهم دوافعهم وشهواتهم، ولهم مطامع وآمال، ولهم مصالح وحاجات، وغير ذلك مما يقتضي مراعاة الأعذار، وتقدير ظروف النفس البشرية وحالاتها المختلفة.

المبحث الثالث
أصول التربية الإسلامية

تستند التربية الإسلامية إلىٰ مجموعة من الأصول التي تنبثق منها كافة الأهداف والبرامج والمناهج والأساليب والمهمات التربوية، ومن أهم هذه الأصول:

أولاً: الأصول العقدية للتربية الإسلامية:

تقوم العقيدة الإسلامية علىٰ الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ قال تعالىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[البقرة: ٢٨٥]. وفيما يلي بيان بعض من الآثار التربوية لهذه الأصول:

١ - فمن الآثار التربوية لعقيدة التوحيد في شخصية المؤمن أنها:

أ - تُحدِّد الهدف الكلي للمؤمن في الحياة؛ وهو: العبودية لله وحده؛ فيوجه المؤمن كل أعماله وطاقته في إطار هذا الهدف، ومن ثم يكون ولاؤه كله لله، وخوفه من الله، وحبه لله، ورجاؤه في الله؛ لأن حياته كلها متجهة نحو الله في استسلام وخشوع: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾[الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]. وتحديد الهدف هو أساس العملية التربوية، وتقويمها يكون في إطار تحقق أهدافها.

ب - تُربِّي المؤمن علىٰ التوكل علىٰ الله، والتفويض الكامل لله، مع الأخذ بالأسباب وإتقان العمل، ويدل علىٰ ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[الطلاق: ٣].

ج - تحرر المؤمن من الخوف، وتزرع في نفسه الطمأنينة والرضا بقدر الله، فيواجه التحديات في الحياة بروح الإيمان، فلا يهرب من المسؤوليات، ولا يتوانىٰ عن الجهاد، بل يقبل إقبال الواثق بنصر الله المطمئن إلىٰ أنه دائمًا في رعاية الله طالما أنه ملتزم بكتابه الكريم وسنة رسوله الأمين ﷺ.

د - تطهر النفس المؤمنة من القلق والحزن وسائر الآفات النفسية، وتحقق السلام الداخلي للنفس؛ لأن عقيدة التوحيد تصون النفس من التمزق بين ولاءات كثيرة لآلهة متعددة، كما تصونها من النفاق والمداهنة لآخرين يَعتَقِد فيهم ضعيف الإيمان أن بيدهم رزقه ونفعه، فيعمل علىٰ إرضائهم بشتىٰ الوسائل، فيعيش في نفاق وخوف، أما المؤمن فالله وليه وناصره، وبمقدار خشوعه وخضوعه لمولاه لا يركن إلىٰ آخرين، وبمقدار تذلله لله في سجوده ينجيه الله من شرور الآخرين.

هـ - وغير ذلك من الآثار التربوية مثل: الخوف والرجاء والخشية ...إلخ.

٢ - أما الإيمان بالملائكة فله آثار تربوية منها:

أ - العلم بعظمة الله تعالىٰ وقوته وسلطانه؛ فإن عظمة المخلوق تدل علىٰ عظمة الخالق.

ب - شكر الله تعالىٰ علىٰ عنايته ببني آدم؛ حيث وكّل ملائكة بأرزاقهم وحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم.

ج - محبة الملائكة علىٰ ما يقومون به من عبادة الله تعالىٰ؛ فهم يشتركون معنا في الوجهة والهدف.

د - محبة الملائكة لما يقومون عليه من مصالح البشر.

٣ - وللإيمان بالكتب المنزلة علىٰ رسل الله آثار تربوية منها:

أ- العلم بعناية الله تعالىٰ بعباده؛ حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به.

ب- العلم بحكمة الله تعالىٰ في شرعه؛ حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم.

ج- شكر نعمة الله في ذلك.

٤ - وللإيمان بالرسل دلالات تربوية منها:

أ- العلم برحمة الله تعالىٰ وعنايته بعباده؛ حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلىٰ صراط الله تعالىٰ، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله.

ب- شكره تعالىٰ علىٰ هذه النعمة الكبرىٰ.

ج- محبة الرسل عليهم الصلاة السلام، وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالىٰ، ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده.

٥ - ومن الدلالات التربوية للإيمان باليوم الآخر:

أ- الحرص علىٰ طاعة الله رغبة في ثواب يوم القيامة، وتجنب معصيته خوفًا من عقاب اليوم الآخر.

ب- استحضار المؤمن حقيقة الحساب في الآخرة؛ فيحمد الله علىٰ التوفيق في الحسنات، ويندم علىٰ اقترافه السيئات، ومن ثم يسارع بالتوبة وتعديل سلوكه من

السيئات إلىٰ الحسنات، وفي هذا اطمئنان للطائع، وتراجع وندم للعاصي، وتعديل للسلوك إلىٰ الأفضل.

ج- تحمل المسؤولية الشخصية؛ فكل إنسان مسؤول أمام الله عن أعماله، ولا يحمل إنسان وزر إنسان آخر، ولا يحصل علىٰ ثواب غيره، وفي هذا حث علىٰ الصلاح وتنفير من الفساد، فيتحقق للناس الخير الكثير.

د- إذا آمن الإنسان باليوم الآخر حق الإيمان عدَّل سلوكه، فتوخىٰ الخير وابتعد عن الشر؛ لإيمانه بأن يوم الجزاء حق لا ريب فيه، وبهذا يربي المؤمن نفسه ويهدي غيره إلىٰ ما ينفعه ويرضي الله.

٦ - ولعقيدة الإيمان بالقدر تطبيقات تربوية منها:

أ- يرتبط الإيمان بالقدر بالسعي والعمل الدؤوب من جانب وبالتوكل والتفويض من جانب آخر، وهذا يحقق للمؤمن ثلاث ثمار: طاعة الرب جل وعلا فيما أمر، تحصيل ثمرة السعي والعمل، تحقيق الأمن النفسي والاطمئنان القلبي.

ب- يكتسب المؤمن بالقدر هدوء النفس؛ لأنه يؤمن بأن كل شيء بيد الله وحده، فلا ينزعج قلبه، ولا يحزن حزن اليأس، ولا يفرح فرح البطر المختال، وإنما تعتدل مشاعره اعتدال من يعي حكمة الله في تدبير أمور الخلق وتربيتهم علىٰ الرضا بقدر الله، ومن ثم يصبح المؤمن بالقدر من أقوىٰ الأقوياء؛ لأنه لا يخاف غير الله، ولا يركع لغير الله، ولا يأبه بتهديدات البشر ما دام يطيع الله ويؤدي واجبه.

ج- يربي المؤمن بالقدر نفسه علىٰ أن يكون راضيًا هادئًا متواضعًا، فيطرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، ويؤمن بأن ما حصل له إنما هو نعمة من الله

بما قدره من أسباب الخير، كما يطرد القلق والضجر والتسخط عند فوات المراد؛ لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره، والخير والضر بتقدير الله تعالىٰ الذي يعلم ما ينفع خلقه، ولله الحكمة في كل ما قدَّر.

ثانيًا: الأصول العبادية للتربية الإسلامية:

العبادة في الإسلام لا تقتصر علىٰ الواجبات كما سبق القول، وإنما تشمل كل عمل مشروع يتوجه به المسلم إلي ربه ويخلص له النية فيه قاصدًا طاعة المولىٰ عز وجل، وهذا مجال واسع قد مَنّ الله فيه علىٰ عباده بالثواب العظيم في هذه الأعمال الصالحة، ولصعوبة حصر كل الأعمال الصالحة، كان التركيز بإيجاز علىٰ العبادات المفروضة، لما لها من التأثير الفعال في تربية الشخصية المسلمة:

١ - فالصلاة يترتب عليها العديد من الآثار التربوية؛ منها:

أ- إذا أدىٰ المسلم الصلاة بخشوع وإخلاص حسنت علاقته بربه وبالناس جميعًا، وبخاصة علاقته بالضعفاء ومن لا سند لهم من جاه أو مال.

ب- تنأىٰ الصلاة كما يريدها الله عز وجل بالمسلم عن المعاصي والفواحش؛ فلا يكذب المسلم المصلي، ولا يزني، ولا يسرق، ولا يخون الأمانات، وهذا إيذان بقبولها إن شاء الله تعالىٰ.

ج- تحفظ الصلاة طاقات الإنسان الحيوية؛ فلا يبددها في الملاهي والشواغل الصارفة له عن العبادة، وإنما يُسخر ما أنعم الله به عليه فيما يرضي خالقه جل وعلا، وفي هذا تربية للمسلم علىٰ ضبط نفسه، والمحافظة علىٰ مواعيده، والإتقان في عمله، والتوجه إلىٰ الله في كل شيء، شاكرًا أنعمه راجيًا مغفرته وهداه.

د- ترتبط الصلاة بالطهارة جسميًا وروحيًا؛ فمع نظافة الأعضاء استعدادًا للصلاة ينظف المسلم نفسه من الأوهام والآفات ونزغات الشيطان، فيقبل علىٰ ربه خاليًا مما سواه، خالصًا من شواغل النفس وعلائق الدنيا، فتصفو روحه وتتحرر من

الأكدار، فإذا ما أقبل بعد صلاته علىٰ الحياة من حوله، أقبل آمنًا قويًا منشرحًا وقد تزود بخير الزاد.

هـ- تحقق صلاة الجماعة للمسلم الارتباط الدائم بالجماعة المسلمة؛ فيتعاطف مع إخوانه، ويساعدهم وينتمي إليهم، فيشعر بالأمان والاطمئنان، وفي هذا تربية اجتماعية تفيد الفرد والجماعة.

٢ - أما الزكاة، فمن آثارها التربوية أنها:

أ- تحرر المسلمين من الأنانية والشح، وتكسبهم التعاطف مع الآخرين والإحساس بأحوالهم وآلامهم، وتقيم التكافل الاجتماعي علىٰ الاقتناع والتراحم مع الآخرين.

ب- تربي المسلمين علىٰ مراعاة مشاعر الآخرين واحترامهم وعدم التعالي عليهم؛ لأنها حق معلوم في مال الله الذي استخلفهم فيه؛ فللفقير كرامة يجب أن تراعىٰ، والمزكِّي ليس متفضلاً عليه، وإنما يؤدي إليه حقه.

ج- تربي المسلم علىٰ الإسهام بماله في إصلاح مجتمعه طاعةً لله، وحرصًا علىٰ الجماعة المسلمة التي ينتمي إليها، وفي هذا إصلاح الدنيا والفوز في الآخرة.

د- تربي المسلم علىٰ أن يوازن بين نفسه والآخرين؛ فإذا كانت الرأسمالية تنحاز إلىٰ الفرد، والاشتراكية تنحاز إلىٰ الجماعة، فإن الإسلام -والزكاة أحد أركانه- يجمع بين الفردية والجماعة؛ لأن الزكاة تفيد الفرد وتفيد الجماعة؛ فلا استعلاء ولا أثرة من الفرد، ولا حقد ولا تهديد من الجماعة، وإنما حياة قوامها: الأمن، والإيثار، والتعاون، والتوازن.

٣ - وللصوم آثار تربوية منها:

أ- يربي الصوم المسلم علىٰ ضبط احتياجاته والتحكم في شهواته، وتنظيم إشباع الحلال، وعدم الانسياق مع نداءات غرائزه كالحيوان، بل تطويعها لأوامر الله، وإخضاعها لسلطان عقله، وبهذا يملك المسلم نفسه ولا تملكه أهواؤه.

ب- يربي الصوم المسلم علىٰ الاتصاف بفضائل إنسانية كبرىٰ؛ كالصبر، وقوة التحمل، والإحساس بآلام الآخرين، وكظم الغيظ، وكبح جماح النفس، وما يزال الصوم بالمسلم حتىٰ تصير هذه الفضائل سمات ثابتة فيه يتسامىٰ بها علىٰ غيره، فيربي إرادته حتىٰ تقهر كل المعوقات التي تقف في طريقه.

ج- يربي الصوم في النفس تقوىٰ الله، ويؤكد فيها التحرر من كل ما سوىٰ الله؛ فيتحرر المسلم من سلطان العادة، ويقلع عما يرغبه بعض الوقت طاعة لربه، ومن السهل علىٰ نفس امتنعت عن الحلال بعض الوقت أن تجتنب الحرام كل الوقت، وفي هذا تربية وتهذيب، وتربية صحية للنفس والجسم، وراحة للأعضاء بعض الوقت، وهذا يتيح لها إصلاح فاسدها وتجديد أنسجتها.

د- يرتبط بالصوم الاعتكاف في رمضان، وفي الاعتكاف خلوة العابد المتبتل مع ربه؛ يناجيه ويستغفره علىٰ ما فرط في جنبه، وهي خلوة ضرورية للمراجعة والمحاسبة بعيدًا عن الثرثرة الاجتماعية التافهة، فيخرج الصائم من اعتكافه وقد منَّ الله عليه بخير الزاد.

٤ - وللحج آثار تربوية منها:

أ- يُجرِّد الحجُ المسلمَ من علائق الدنيا جميعًا؛ لأنه -بحق- رحيل إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ بملابس الإحرام، تلك الملابس التي تذكر الإنسان بموقفه أمام ربه

يوم الحساب متجردًا من كل ما سوىٰ العمل الصالح؛ فهو من هذه الناحية تربية روحية.

ب- يُربِّي الحجُ المسلمين علىٰ الارتباط العملي برباط الأخوة الإسلامية ونبذ روابط الجاهلية؛ فهو تربية اجتماعية هادفة.

ج- يحفظ الحج للجسم صحته، وللنفس سلامتها عن طريق: النظافة والطهارة، والمشي والهرولة، والضبط لبعض متطلبات النفس التي تمتنع عليها من الإحرام حتىٰ الإحلال، وإذا ارتبط ذلك بالدعاء والتلبية وقراءة القرآن وأداء المناسك فإنه يعتبر تربية صحية ونفسية وروحية؛ لأنه ينمي في النفس جوانبها المادية والروحية.

د- يربي الحج المسلم علىٰ تحمل المصاعب وعلىٰ الخشونة وترك الرفاهية، وعلىٰ تنظيم الوقت ودقة المواعيد.

ثالثًا: الأصول الفكرية للتربية الإسلامية:

تتمثل أهم الأصول الفكرية للتربية الإسلامية في نظرة الإسلام لكل من: الإنسان، والقيم، والمعرفة، والكون والحياة. وفيما يلي إبراز تلك القضايا بإيجاز شديد:

أولاً: الطبيعة الإنسانية:

يُعد الإنسان محور اهتمام التربية؛ وذلك من حيث إعداده، وتنمية مختلف جوانب شخصيته: إيمانيًا، وجسميًا، وعقليًا، وأخلاقيًا، ووجدانيًا، ونفسيًا؛ تنمية شاملة ومتكامل. كما تسعىٰ التربية جاهدة إلىٰ ترقية الإنسان وتطويره عن طريق إكسابه المعلومات والخبرات والمهارات اللازمة، وأنماط السلوك المرغوب، وأطر التفاعل مع البيئة المحيطة.

ولقد كان الإنسان وما يزال مأخوذًا بسوء الفهم لنفسه؛ فتارة يرىٰ نفسه أكبر الكائنات وأعظمها، وقد امتلأ كبرا وأنانية، كقوم عاد الذين استكبروا في الأرض وقالوا من أشد منا قوة، وينادي كما نادىٰ فرعون: ما علمت لكم من إله غيري، أنا ربكم الأعلىٰ، فيتحول إلىٰ متأله يستهدف القهر والبطش والظلم والطغيان. وتارة يميل إلىٰ جانب التفريط فيظن أنه أدنىٰ وأرذل كائن في العالم، فيطأطئ رأسه أمام شجر أو حجر أو حيوان، ويرىٰ السلامة في أن يسجد للشمس والقمر والنار.

أما التصور الإسلامي للإنسان فقد جاء شاملاً لكل جوانب إنسانيته، وحدد صورة الإنسان المسلم في مجموعة من الصفات التي يمكن تصنيفها في تسعة مجالات رئيسة علىٰ النحو التالي:

١- سمات تتعلق بالعقيدة وتضم: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والبعث، والجنة والنار، والقضاء والقدر.

٢- سمات تتعلق بالعبادات؛ وتضم: عبادة الله وأداء الفرائض من: صلاة، وصوم، وزكاة، وحج، وجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، وذكر الله واستغفاره، والتوكل عليه، وقراءة القرآن.

٣- سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية؛ وتشمل: معاملة الناس بالحسنىٰ، والكرم والجود، والإحسان، والتعاون، والاتحاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعفو، والإيثار، والإعراض عن اللغو، وحب الخير، وإغاثة الملهوف.

٤- سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية؛ وتضم: طاعة الوالدين وبرهما، والإحسان إليهما وإلىٰ ذوي القربىٰ، وحسن المعاشرة بين الأزواج، ورعاية الأسرة والإنفاق عليها، والتنشئة السليمة للأولاد.

٥- سمات خلقية؛ وتضم: الصبر، والحلم، والصدق، والعدل، والأمانة، والوفاء بالعهد، والتواضع.

٦- سمات انفعالية وعاطفية؛ وتضم: حب الله والخوف من عذابه، وحب الناس، وكظم الغيظ، وعدم الاعتداء علىٰ الآخرين، والرحمة، والشعور بالندم عند ارتكاب ذنب ما.

٧- سمات عقلية معرفية؛ وتشمل: التفكر في الكون وخلق الله، وطلب المعرفة والعلم، وعدم اتباع الظن، وتحري الحقيقة.

٨- سمات تتعلق بالحياة العملية؛ وتشمل: الإخلاص في العمل وإتقانه، والسعي بنشاط وجد في سبيل كسب الرزق.

٩- سمات بدنية؛ وتضم: القوة، والصحة، والنظافة، والطهارة.

ثانيًا: القيم:

تُعرَّف القيم الإسلامية بأنها: مجموعة المبادئ أو السمات التي حث عليها القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي تحدد شخصية المسلم وفق منهج متكامل، وتنظم سلوكه وعلاقته بالله وبالكون ومجتمعه ونفسه، وتعمل عمل المعايير أو الأطر المرجعية الموجهة للسلوك والضابطة له، وللقيم الإسلامية عناصر ومكونات جُمعت في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[العصر: ١ - ٣].

فالقيم الإسلامية ليست فكرًا فقط؛ لأن الفكر تأمل لا تأثير له في الواقع إذا اعتبرناه بمفرده، وليست وجدانًا أو دافعًا فقط؛ فهما بمثابة وقود حركة وقوة دافعة، وليست سلوكًا وتواصيًا فقط، وإنما تُعد القيم الإسلامية النقطة التي يجتمع عندها الفكر تأملاً وتدبرًا، والوجدان والدافع قوة محركة، والسلوك والتناصح عملاً صالحًا وحركة ذاتية. فليس في القيم الإسلامية مواقف أو مظاهر متخاذلة أو رديئة، ولا يكتفي فيها بانفعال الباطن في صورة استحسان أو استهجان، ولكنها تدفع الإنسان دفعًا إلىٰ إحداث حركة مؤثرة في السلوك. ولأن القيم الإسلامية تستمد أهميتها من الكتاب والسنة، فإنها: تقدم للفرد والمجتمع فلسفة وتصورًا فريدًا شاملاً ومميزًا للحياة، وتدعو للتقدم الحضاري (العلم والعمل)، وتحقق الصحة النفسية (الطمأنينة والتوافق والتكيف)، وترتقي بالنفس وتسمو بها.

ثالثًا: المعرفة والعلم:

إذا كان الفكر الحديث والمعاصر يفخر بإيمانه بأهمية العلم والمعرفة وإفساح المجال أمامهما، فإن الإسلام بتعاليمه كان له فضل السبق في تأكيد أهميتهما، وبيان فضلهما، والدعوة إلىٰ طلبهما وتطبيقهما واستخدامهما في كل ما ينفع ويحقق الخير والتقدم للأمة. وقد جعل الإسلام الكون كتابًا للمعرفة، ووجه الأسماع والأبصار والأفئدة إلىٰ بدائع صنع الله فيه، ودعا إلىٰ التفكير في آياته، وكشف أسراره، وفهم نظمه وقوانينه، وحرر العقول من أسر الجمود والجهل والتبعية، وحث علىٰ البحث والدراسة والتعلم؛ فإن العلم الذي يدعو إليه الإسلام هو العلم بمفهومه الشامل الذي ينظم كل ما يتصل بالحياة، ولا يقتصر علىٰ مجال دون غيره. وعلىٰ ذلك لم يعرف في الإسلام الصراع بين العلم والدين، ولا معاداة أحدهما للآخر، وإنما يعد العلم الحق داعيًا إلىٰ الإيمان ودليلاً عليه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الحج: ٥٤]، فهذه معان ثلاثة مترتب بعضها علىٰ بعض: العلم يتبعه الإيمان تبعية ترتيب بلا تعقيب، ليعلموا فيؤمنوا، والإيمان يتبعه حركة القلوب من الإخبات والخشوع والخضوع لله تعالىٰ، وهكذا يثمر العلم الإيمان بالله تعالىٰ، فالإيمان هو نوع من العلم بالله، وما الكفر إلا جهل وجهالة.

وقد تعددت أدوات المعرفة في التربية الإسلامية لتشمل: الوحي، والعقل، والحس؛ فالوحي هو أداة المعرفة في ميدان الغيب، والعقل والحس هما أداتها في ميدان الشهادة بقسميها: الآفاق والأنفس، وتتكامل أدوات المعرفة الثلاث لبلوغ الغايات وتحقيق الأهداف، ومن ثم فلا انفصال بين الوحي والعقل، فحين انفصل

العقل عن الوحي جنح العقل إلىٰ الاستبصار بالسحر، وقراءة الكف والنجوم والطالع، وضرب الحصىٰ، وتحكُّم السحرة والعرافين والمشعوذين والدجالين، وحين طرح العقل منفصلاً عن الوحي أثمرت الحلول والتنبؤات لمشكلات العصر نتائج خاطئة وآثارًا مدمرة، وتداعت مساوئ العلم المجرد من الإيمان، فشقي الإنسان بالعلم وانتهت الحضارة إلىٰ السقوط.

رابعًا: الكون والحياة:

تتلخص نظرة الإسلام إلىٰ الكون في أنه مخلوق لله خلقه لغاية وهدف، وما كان اللعب والعبث باعثًا علىٰ الخلق؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الدخان: ٣٨ - ٣٩]. كما أن الكون بكل ما فيه من عناصر وأجزاء يسير في حركة حسب سنن ونواميس دقيقة وعلاقات منتظمة، خاضع لإرادة الله وأمره ومشيئته، مسير ومدبر لا يملك من يقف أمام عناصره إلا التسليم بوحدة المدبر ووحدانيته؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[يس: ٣٧ - ٤٠]، وبالإضافة إلىٰ النعم التي يزخر بها الكون، إلا أنه مسخر بكل ما فيه للإنسان. والتسخير لا يعني طغيان الإنسان، وتجاوز حدوده إفسادًا وقتلاً، وسفكًا ودمارًا، وإذا كان الأمر كذلك فإن العاقبة ونتائج ذلك سوف تكون وخيمة علىٰ الإنسان ومجتمعه في صورة مشكلات تتعرض لها بيئة هذا الإنسان ومجتمعه؛ قال تعالىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الروم: ٤١].

أما الحياة: فقد جاء تصور الإسلام لها تصورًا فريدًا شاملاً ومميزًا؛ فالحياة وفقًا لهذا التصور ليست تلك المدة المحددة التي تمثل عمر الفرد أو عمر الأمة، إنما تمتد طولاً في الزمان، وعرضًا في الآفاق، وعمقًا في العوالم، وتنوعًا في الحقيقة؛ تمتد في الزمان لتشمل الحياة الدنيا المشهودة، والحياة الآخرة المغيبة عنا، وتمتد في المكان فتضيف إلىٰ هذه الأرض دارًا أخرىٰ: جنة ونارًا، وتمتد في العوالم فتشمل هذا الوجود المشهود والوجود المغيب الذي لا يعلم حقيقته إلا الله، ومعنىٰ ذلك أنه ليس هناك طريق مستقل للحياة الدنيا وآخر للآخرة، إنما هو طريق واحد تصلح به الدنيا والآخرة، والمنهج الإيماني للحياة لا يجعل الدين بديلاً عن الدنيا، ولا طريق الآخرة غير طريق الدنيا، لكن الأصل أن تلتقي فيه الدنيا مع الآخرة، وأن يكون الطريق إلىٰ صلاح الآخرة هو ذاته الطريق إلىٰ صلاح الدنيا، ومن ثم يجمع المنهج الإسلامي بين العمل للدنيا والعمل للآخرة في توافق وتناسق، فلا يُفَوِّت الإنسان دنياه لينال آخرته، ولا يغفل آخرته لينال دنياه، فالعمل والإنتاج والتنمية فريضة الاستخلاف في الأرض، والإيمان والتقوىٰ والعبادة والأخلاق تمثل الارتباطات والضوابط والدوافع لتحقيق هذا المنهج في الحياة. ومن الآيات الدالة علىٰ هذا التلاقي والترابط واللقاء بين الدنيا والآخرة قوله تعالىٰ: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾[القصص: ٧٧].

فخلاصة القول: يمكن إيجاز نموذج العلاقات في التربية الإسلامية بين الخالق، والكون، والإنسان، والحياة علىٰ النحو الآتي:

- **العلاقة بين الله والإنسان علاقة عبودية لله.**
- **العلاقة بين الإنسان والكون علاقة تسخير للكون.**

- **العلاقة بين الإنسان والحياة الدنيا علاقة ابتلاء واختبار.**
- **العلاقة بين الإنسان والحياة الآخرة علاقة مسؤولية وجزاء.**

وعلىٰ نظام التربية أن يعمل علىٰ إعداد الإنسان في ضوء هذه العلاقات حتىٰ يتحقق له النمو، وكلما نجحت التربية في تحقيق ذلك أدت واجبها بنجاح، أما إذا فشلت فقد فقدت فاعليتها وأصبحت شكلاً بلا مضمون.

المبحث الرابع
التربية في التراث الإسلامي

مقدمة:

لا يمكن للتربية أن تنجح في وظائفها ما لم تأخذ في الحسبان طبيعة المتعلم أو المتربي وقدراته وطبيعة نموه النفسي والانفعالي؛ حيث إن ذلك يؤثر على نمو المتربي وشخصيته، ولا يوجد نشاط تربوي يؤدي وظيفته أداءً سليمًا ما لم يتناسب ومستوى نضج المتربي وطبيعة نموه واحتياجاته من مختلف النواحي النفسية والسلوكية.

وبناءً على هذا، تسعى التربية للاستفادة من النظريات والمبادئ النفسية في بناء النظام التربوي؛ أي الاستفادة من قواعد علم النفس وأسسه في تصحيح مسار العملية التربوية؛ فعلم النفس أو السلوك يزخر بالكثير من النظريات التي تبنى عليها الأسس التربوية المختلفة في العملية التعليمية، وهناك العديد من النظريات التي تفيد في هذا المجال؛ فهو يحتوي على نظريات التعلم المختلفة، مثل: التعلم الشرطي، والتعلم بالاستبصار، وغيرها من النظريات، وكذلك نظريات الفروق الفردية والجماعية، والنظريات السلوكية والفطرية التي تمس الإنسان وسلوكه، والعوامل والمؤثرات التي تؤثر في هذا السلوك.

كما تسعىٰ التربية إلىٰ محاولة التعرف علىٰ النظريات والأبحاث الخاصة بالقدرات العقلية والمهارات المختلفة، والعوامل المختلفة التي تؤثر في تلك القدرات والمهارات، وكذلك العوامل والظروف التي تساعد علىٰ صقل تلك القدرات العقلية وهذه المهارات، وكيفية الاستفادة من المواهب، وكذلك توجيه النظر إلىٰ أفضل السبل لحل المشكلات وتنمية التفكير الناقد لدىٰ التلاميذ والطلاب، وكذلك كيف يمكن للتربية أن تراعي مراحل النمو المختلفة التي يمر بها الطفل، والخصائص النفسية والاجتماعية لكل مرحلة من هذه المراحل.

كما تحاول التربية أن تستفيد من النظريات النفسية المختلفة المتعلقة بالأنماط المختلفة لعملية التربية من حيث كونها: تربية تسلطية، أو تربية تلقائية، أو تربية تتسم بعدم المبالاة، أو تربية تقوم علىٰ الحرية المطلقة، أو القمع، أو الكرامة المتوسطة بينهما، أو تربية تراعي الرغبات والميول والدوافع، أو تربية تهمل هذه الجوانب.

ومن ثم فإنه يمكن القول: إن التربية تعتمد في أسسها ومبادئها علىٰ قواعد ومبادئ نفسية مستمدة من النظريات المختلفة التي يزخر بها علم النفس بفروعه المختلفة؛ وذلك لمساعدة المتربي علىٰ فهم ذاته وخصائصه، الأمر الذي يساعده علىٰ تقبل ذاته والتكيف مع ما يطرأ عليه من تغيرات، والقدرة علىٰ حل مشكلاته، ومن ثم كان علم السلوك من أكثر الأسس وظيفة في العملية التربوية.

وانطلاقًا من هذه العلاقة الوثيقة بين علم السلوك وعلم التربية، ووفق تلك النظرة الشمولية للتربية، ركزت ممارسات أعلام العلماء من السلف ومؤلفاتهم - كما يشهد بذلك التراث الإسلامي - علىٰ موضوعات التربية في إطار فهمهم لمصادر التشريع. وعلىٰ هذا، يسعىٰ هذا المبحث للكشف عن ذلك من خلال العنصرين الآتيين:

أولاً: أبرز العلماء والمؤلفات التربوية في التراث الإسلامي:

حفلت عصور التاريخ الإسلامي بمسيرة طويلة وغنية بالتجارب والخبرات والإسهامات الواضحة في مجال التربية -سواء أكانت بصورة مباشرة أم ضمنية- وليس أدل علىٰ هذا من التراث التربوي الجم المتمثل في أمهات الكتب والأبحاث التربوية التي تعرض لمختلف مجالات الفكر والاجتهاد التربوي عند العلماء المسلمين والفلاسفة والمفكرين العرب.

ولقد ذكر البروفيسور سباستيان جونتر -مدير معهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة جوتنجن، ورئيس الاتحاد الأوروبي للدراسات العربية والإسلامية - في حوار له عن العلماء المسلمين الأوائل أن فكرهم هو الذي أثرىٰ الفكر التربوي العالمي، وأنهم تناولوا مشكلات ما زالت تشغل التربويين حتىٰ اليوم[1].

وفيما يلي استعراض -علىٰ سبيل المثال لا الحصر- لبعض من مؤلفات علماء السلف التي تناولت موضوعات التربية وقضاياها بشكل صريح؛ وذلك حسب الترتيب الزمني لوفاة الأعلام رحمهم الله:

١) المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ):

وكانت ولادة المحاسبي في العصر العباسي الأول عام ١٦٥هـ، وهو أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي العنزي البصري المولد البغدادي المنزل والوفاة، وسمي بالمحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه. وقد خلَّف ما يقرب من مئتي مصنف، منها: **آداب النفوس، رسالة المسترشدين، الرعاية لحقوق الله، شرح المعرفة وبذل النصيحة، فهم**

(١) مجلة المعرفة،
www.almarefh.net/show_content_sub.php?CUV=٢١٥٧&ID=١٥٥&SubModel=٤٢٢

القرآن، كتاب العلم، ماهية العقل ومعناه، المسائل في أعمال القلوب والجوارح، المسائل في الزهد، معاتبة النفس، المكاسب، الوصايا، رسالة التصوف، رسالة المراقبة، النصيحة للطالبين.

٢) محمد بن سحنون (ت: ٢٥٦هـ):

وهو أبو عبدالله محمد بن سحنون، ولد بالقيروان سنة ٢٠٢هـ، ونشأ في كنَفِ أبيه فقيه المغرب وإفريقيا: عبدالسلام سحنون التنوخي القيرواني شيخ المالكية، الذي اعتنىٰ بتربيته وتأديبه وتعليمه، فأخذ حظه من القرآن الكريم والعلوم الضرورية، وتحوَّل إلىٰ مجالس الدروس علىٰ يد ثُلَّة من شيوخ إفريقية، فحمل عنهم مروياتهم وأتقنها، ورحل إلىٰ الأمصار وتعلم عدة علوم، وعاد إلىٰ إفريقية مزودًا بتجربة وعلم غَزير ليشعَّ به علىٰ المَغرب وإفريقيا. وقد اشتغل بالتعليم في القيروان، وألَّف رسالة سماها: (**آداب المعلمين**)، وهي علىٰ صِغَر حجمها -إذ لا تتجاوز ٢٦ صفحة- رسالة قيِّمة ونفيسة، بما تتضمَّنُه من آراء تربوية تعبِّر بوضوح عن أن الأمة الإسلامية عُنيت بقضايا التعلُّم والتعليم. ومن مؤلفاته أيضًا: **آداب المناظرين، الجامع في فنون العلم والفقه، الرسالة الجنوبية، السير، التاريخ، أجوبة ابن سحنون.**

٣) ابن أبي الدُّنيا (ت: ٢٨١هـ):

عبدالله بن محمد بن عُبيد الأموي، أبوبكر بن أبي الدنيا، البغدادي، صاحب التصانيف المفيدة، وكان وعاظًا عارفًا بأساليب الكلام. صنّف الكثير من المصنفات؛ منها: **العظمة، الصمت، ذم الدنيا، محاسبة النفس، مكارم الأخلاق** وغيرها. مولده ووفاته ببغداد.

٤) القابسي (ت: ٤٠٣هـ):

وهو أبو الحسن علي بن محمد خلف، المعروف بالقابسي نسبة إلىٰ بلدة قابس بالقيروان التي ولد فيها عام ٣٢٤هـ، وهو حافظ ومحدث وفقيه مالكي المذهب، ومن أشهر كتبه التربوية: (**الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**).

٥) ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ):

وُلد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم في مدينة المغيرة بقرطبة عام ٣٨٤هـ، ولم يدع ابن حزم المثابرة علىٰ العلم والتأليف فيه حتىٰ كمل من مصنفاته في شتىٰ فنون العلم وِقْر (حِمل) بعير، ومنها:

الفصل في الملل والأهواء والنحل، التقريب لحد المنطق، ولكن اختلافه المذهبي (الشافعي ثم الظاهري) مع فقهاء الأندلس (المالكية)، وعدم لينه مع خصومه، أدىٰ إلىٰ إثارة العامة وبعض الحكام عليه؛ فأحرقوا كتبه وطاردوه حتىٰ توفي بقريته.

٦) ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ):

وهو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي؛ حيث ولد في قرطبة عام ٣٦٨هـ. كان حافظ المغرب، وله مؤلفات عديدة، منها في التربية: **الرقائق، بهجة المجَالس وأنس المُجالس وشحذ الذهن والهاجس، أدب المجالسة وحمد اللسان، البستان في الإخوان، الجامع**. أما أشهر كتبه في التربية فهو: (**جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله**).

٧) الغزالي (ت: ٥٠٥هـ):

ولد أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي في طوس من أعمال خراسان بفارس عام ٤٥٠هـ، وقد عُرف بالغزالي لأن أباه كان لا يأكل إلا من كسب يده في غزل الصوف، كما لُقب بحجة الإسلام لذوده عن حياض العقيدة الإسلامية بفكره وقلمه.

وللغزالي مؤلفات جمة في المنطق والفلسفة والفقه والتربية. ولعل أهم كتاباته وآرائه في التربية برزت في كتبه: **فاتحة العلوم، أيها الولد، ميزان العمل، الرسالة اللدنيّة، إحياء علوم الدين**، وهو من أكبر كتبه في الفقه والأخلاق والتربية، وعلىٰ الكتاب مآخذ نبه عليها أهل العلم.

٨) ابن الجوزي، أبو الفرج (ت: ٥٩٧هـ):

عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي؛ كان صاحب صيت في الوعظ، وله مؤلفات كثيرة في فنون متعددة، منها: **تلبيس إبليس، صيد الخاطر، بحر الدموع، صفة الصفوة**، وغيرها.

٩) ابن جماعة (ت: ٧٣٣هـ):

وهو بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن حازم بن صخرة الكناني، ولد بحماه عام ٦٣٩هـ، واشتغل ابن جماعة بالكتابة والتأليف، ومن أهم مؤلفاته:

تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، حجة السلوك في مهارة السلوك، المقتص في فوائد تكرير القصص، تنقيح المناظرة في تصميم المخابرة، المسالك في علم المناسك.

١٠) ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ):

وُلد تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في مدينة حران بسوريا عام ٦٦١هـ، وكما تخطىٰ ابن تيمية حدود الانتماء المذهبي إلىٰ دائرة الانتماء الإسلامي الواسع، عُني بالتربية واتخذها أسلوبًا في تعديل السلوكيات، وبناء البشر، وتزكية النفوس، وإصلاح المجتمع وفق ما جاء في الكتاب والسنة. ومن ضمن مؤلفاته التي تربو علىٰ المئات:

السياسة الشرعية والحسبة في الإسلام، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.

١١) ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ):

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ولد في دمشق وتتلمذ علىٰ يد ابن تيمية، وله مصنفات مشهورة من أبرزها:

زاد المعاد، مدارج السالكين، بدائع الفوائد، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، أو: الداء والدواء.

١٢) ابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ):

زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي، الحنبلي، الواعظ. ولد في بغداد. له مصنفات عديدة،منها: **جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، شرح الترمذي، فتح الباري شرح صحيح البخاري** -لم يتمه- **اختيار الأولىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ، كشف الكربة في وصف أهل الغربة، طبقات الحنابلة.**

١٣) ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ):

وهو تقي الدين عبد الرحمن بن محمد، المعروف بابن خلدون، ولد بتونس عام ٧٣٢هـ، ومن أهم أعماله: **المقدمة**، وهي لكتابه: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**. ويعد ابن خلدون المؤسس الأول لما يطلق عليه اليوم **(علم الاجتماع)**، كما أنه يعد زعيم المؤرخين، وكبير المربين، وأحد الكتاب العبقريين.

ثانيًا: تربية الشخصية السوية في ضوء التصور الإسلامي:

(أنموذج من التراث الإسلامي: الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

تعد شخصية الإنسان موضوع التربية الإسلامية ومحورها الأساس، ومن ثم استهدفت التربية الإسلامية تربية الشخصية السوية تربيةً متكاملةً تحقق وظيفة الإنسان بصفته خليفة في الأرض. ونعرض فيما يلي صورة حية تؤكد فاعلية التربية الإسلامية في تربية جوانب الشخصية المسلمة كما بدت في حياة: **الخليفة عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **اجتهادًا وممارسةً قولاً وعملاً.**

أ) التربية الجسمية:

لأن الجسم القوي هو عدة المسلم التي تمكنه من أداء الفرائض الأساس والتكاليف الشرعية، تبدت عناية الخليفة الراشد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالتربية الجسمية، سواء علىٰ مستوىٰ القول أو علىٰ مستوىٰ الممارسة والتطبيق في بعض المظاهر المهمة؛ كالحث علىٰ إعطاء الجسم حقه من الغذاء والنظافة والملبس والشهوة، والأخذ بالقواعد الصحية السليمة في المأكل والمشرب، والتداوي من الأمراض، والبعد عن الأماكن الموبوءة والأشخاص القابلين لنقل العدوىٰ، وممارسة الرياضة البدنية بأنواعها المختلفة: كالسباحة، والرماية، وركوب الخيل، والمصارعة.

فقد بلغ اهتمام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بضرورة إعطاء الجسم حقه من الغذاء أنه أسقط حد القطع عن السارق عام المجاعة، ورفض أن يطبق الحد علىٰ غلمة حاطب بن أبي بلتعة إذ سرقوا ناقة لرجل من مزينة وانتحروها وأكلوها، وقال عمر لعبد الرحمن بن حاطب: «لولا أني أظن أنكم تجيعونهم حتىٰ أن أحدهم أتىٰ ما حرم الله ﷻ لقطعت أيديهم، ولكن والله لئن تركتهم لأغرمنك فيهم غرامة توجعك» ثم قال عمر

للمزني: «كم ثمن ناقتك؟ قال: كنت أمنعها من أربعمائة، فقال عمر لعبد الرحمن ابن حاطب: فأعطه ثمانمائة»(١).

وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحث الإنسان المسلم على النظافة والزينة؛ وذلك عندما جاءته امرأة برفقة زوجها وهي تقول: «لا أنا ولا هذا» فعرف كراهيتها له، فنظر إليه فإذا هو أشعث أغبر، فأرسله ليستحم ويأخذ من شعره وأظافره ويصلح من شأنه، فلما عاد أنكرته، ولما عرفته قبلت به وعادت إلى بيتها، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هكذا فاصنعوا لهن، فو الله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزينَّ لكم».

وقد حرص عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك على توجيه الإنسان المسلم في غذائه وملبسه وشهوته وفق الضوابط الإسلامية، ومن هذه الضوابط أن يكون ما يتغذى به الإنسان المسلم حلالاً طيبًا، وألا يفرط في الطعام، وأن يكون إشباعه لشهواته من طريق الحلال؛ فقد روى مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب بعد أن شرب لبنًا أعجبه، ثم علم أنه من الصدقة، أدخل يده في جوفه واستقاءه. كما نهى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإنسان عن الإفراط في الطعام لئلا يؤدي إلى السمنة التي قد تكون مرضًا يحول دون قيام المسلم بواجباته العبادية والجهادية والمعيشية، فيقول عمر: «إياكم والبطنة من الطعام؛ فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسم مورثة للسقم، وإن الله عَزَّ وَجَلَّ يبغض الحبر السمين، وعليكم بالقصد في قوتكم فإنه أدنى من الإصلاح وأبعد من السرف وأقوى على عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه».

كما تبدى حرص عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مراعاة الرغبات الغريزية في الإنسان وضرورة إشباعها ولكن بالطريقة الشرعية؛ فقد رُوي أنه كان لا يدع مجاهدًا يغيب

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٧٢٨٧).

عن زوجته أكثر من أربعة أشهر أو ستة، كما كان يجند في جيوش المسلمين غير المتزوجين ويدع المتزوجين ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً.

ومن مظاهر العناية بالتربية الجسمية:

الأخذ بقواعد الصحة البدنية وممارسة العادات الصحية السليمة في المأكل والمشرب؛ كنظافة الأيدي والأواني المستخدمة في الطعام، وكيفية المحافظة عليه، واختيار الثياب الصحية، فكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يختار من الثياب ما هو أصح للجسم وأنشف للعرق، وكان ينصح المسلمين بحمامات الشمس والسواك والصوم لتكون وسائل مهمة في المحافظة علىٰ صحة الجسم؛ فقد روي عنه أنه قال: «استقبلوا الشمس بجباهكم فإنها حمام العرب»(١).

كما روي عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أحجم عن قدوم الشام بجنوده لما علم بانتشار الوباء بها في سنة سبع عشرة من الهجرة، وكتب إلىٰ أبي عبيدة بن الجراح يستخرجه من المكان الموبوء، ولما طلب أبو عبيدة استعفاءه من الخروج، كتب إليه عمر ثانية أن يرفع الناس إلىٰ أرض مرتفعة نزهة بدلاً من الأرض التي أنزلهم بها والتي تتميز بفساد الريح وخمومها، فنزل أبو عبيدة بالناس حتىٰ نزل الجابية ورفع عن الناس الوباء، ولكنه كان قد أصابه الطاعون فأودىٰ بحياته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

ومنع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امرأة مجذومة كانت تطوف بالبيت حتىٰ لا تؤذي الطائفين من الأصحاء، وقال لها: يا أمة الله لا تؤذي الناس، لو جلست في بيتك!

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٤٥٤)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان علىٰ صحيح ابن حبان (٥٤٣٠).

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤/ ٦١.

ففعلت، ثم مر بها رجل بعد ذلك، فقال لها: إن الذي نهاك قد مات فاخرجي، فقالت: ما كنت لأطيعه حيًا وأعصيه ميتًا[١].

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمارس ألوانًا مختلفة من الرياضات؛ كالمصارعة، وركوب الخيل، والسباحة.

وكتب إلىٰ المسلمين في الأمصار الإسلامية يأمرهم بأن يعلموا أولادهم الرياضة البدنية؛ كالسباحة، والرمي، وركوب الخيل[٢].

ب) التربية العقلية:

لأن علىٰ العقل مدار التكليف والبحث وتكشف ما في النفس والكون من أسرار حرص عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الاهتمام بالعقل، والحفاظ عليه من كل ما يعطل أداءه لوظائفه، والحث علىٰ تربيته وتنميته بوسائل مختلفة.

ففيما روي عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: «حَسَبُ المرء دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله»[٣].وقوله: «إن يكن لك عقل فلك مروءة»[٤].

ومن أجل الحفاظ علىٰ عقل المسلم وأدائه لوظائفه كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأمر بالابتعاد عن كل ما يخرج العقل عن طبيعته المميزة المدركة كشرب الخمر؛ فقد روىٰ البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت عمر بن الخطاب علىٰ منبر رسول الله ﷺ يقول: «أما بعد أيها الناس، إنه نزل تحريم الخمر، وهي من

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٦٠٣).

(٢) انظر مسند الإمام أحمد (٣٢٣).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٢٠٨١١).

(٤) المجالسة وجواهر العلم (٥/ ٢٤٩) (٢٠٨٨).

خمس: من العنب والتمر والعسل والشعير، والخمر ما خامر العقل»[١]. وروي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال عمر: «ما خمرته فعتقته فهو خمر»[٢].

كما رفع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حد شارب الخمر من أربعين جلدة إلىٰ ثمانين صيانة للعقل المسلم، ويروي الإمام مالك في الموطأ: أن عمر بن الخطاب استشار في الخمر يشربها الرجل، فقال له علي بن أبي طالب: «نرىٰ أن تجلده ثمانين؛ فإنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذىٰ، وإذا هذىٰ افترىٰ، أو كما قال، فجلد عمر في الخمر ثمانين»، و بذلك كان عمر أول من ضرب في الخمر ثمانين[٣].

واستخدم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تربية العقل جهودًا ووسائل عدة منها: طلب العلم، والفهم، والاجتهاد، وإعمال العقل بالتفكير، والعمل بالعلم. فكان يكتب إلىٰ قضاته وولاته في الأمصار الإسلامية يحثهم علىٰ إعمال العقل واستخدام الفكر اجتهادًا فيما يعرض عليهم من القضايا، فيكتب إلىٰ شريح قاضيه علىٰ الكوفة قائلاً: «انظر ما تبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحدًا، وما لم يتبين لك في كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله ﷺ، وما لم يتبين لك فيه السنة فاجتهد رأيك»[٤].

ويكتب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري واليه علىٰ البصرة كتابًا يقول له فيه: «أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك؛ فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك، حتىٰ لا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦١٩)

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٩/ ٢٣٤ (١٧٠٥١)

(٣) موطأ الإمام مالك (٣١١٧).

(٤) السنن الكبرىٰ للبيهقي (٢٠٣١٢).

يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة علىٰ من ادعىٰ واليمين علىٰ من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً، ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلىٰ الحق؛ فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهمَ الفهمَ فيما يتلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور عند ذلك، واعمد إلىٰ أقربها إلىٰ الله وأشبهها بالحق»[(١)].

ج) التربية الأخلاقية:

اهتمَّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اهتمامًا واضحًا بتربية الشخصية المسلمة علىٰ القيم والفضائل وحسن الخلق، وضرورة تطابق النية مع السلوك، والقول مع الفعل؛ حتىٰ تكون الشخصية المسلمة خَيِّرَةً تحقق السعادة لنفسها وغيرها.

والذي يتأمل بعض أقوال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشيء من الإمعان يجد أنه يردُّ الأخلاق إلىٰ أصل واحد هو الدين، والدين مصدره القرآن والسنة، وهذا يعني أن الأخلاق عنده هي الدين، ويتضح هذا من قوله: «كرم الرجل دينه، وحَسَبُه خُلُقه وإن كان فارسيًا أو نبطيًا»[(٢)]، وقوله: «حَسَبُ المرء دينُه، ومروءته خُلُقه، وأصله عقله»[(٣)].

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرىٰ أن هناك حاسة أخلاقية موجودة في النفس الإنسانية بالفطرة، فيقول: «الشجاعة والجبن غرائز تكون في الرجال، ويقاتل الشجاع عما لا يعرف، ويفر الجبان عن أمّه»[(٤)]. وهذا يعطي التربية مكانةً مهمةً في تنمية هذه

(١) تاريخ المدينة لابن شبة (٢/ ٧٧٦).

(٢) سنن سعيد بن منصور (٢٥٣٤).

(٣) سبق تخريجه ص ٩٠.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٦١٦).

الحاسة الأخلاقية وتربيتها، بحيث تسعىٰ التربية الأخلاقية إلىٰ إبراز الفضائل وتثبيتها وتنميتها، وإزالة الرذائل واستئصالها من الشخصية المسلمة.

ومن ثم يحث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإنسان المسلم علىٰ أن يعمل جاهدًا علىٰ تغليب الأخلاق الفاضلة والصالحة لديه، وأن يدع الأخلاق السيئة، حتىٰ لا تسري عدوىٰ الأخلاق السيئة علىٰ الأخلاق الحسنة فتفسدها، فيقول: «قد يكون في الرجل عشرة أخلاق؛ تسعة صالحة وواحد سيء، فيفسد التسعةَ الصالحةَ ذلك السيءُ»[(١)].

كما يحث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإنسان المسلم علىٰ حسن الخلق، فيقول: «أحبكم إلينا أحسنكم أخلاقًا»، وينهىٰ عمر عن سوء الخلق، فيقول: «إياك والغضب والغلق والضجر والتأذي بالناس»[(٢)]، فهو ينهىٰ عن ضيق الصدر وقلة الصبر، يقال في سوء الخلق: «رجل غلق»، أي: غلق الخير.

وفيما يتعلق بالتطابق بين النية والسلوك في الحكم علىٰ الالتزام بالأخلاق نرىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يركز علىٰ السلوك الخلقي الظاهر؛ لأن النية لا يعلمها إلا الله، فيقول في أحد كتبه إلىٰ واليه علىٰ البصرة أبي موسىٰ الأشعري: «إن الله تولىٰ من العباد السرائر وستر عليهم الحدود إلا البينات والأيمان»[(٣)]. يريد أن من ظهر منه علانية خير قبلناها منه ووكلنا سريرته إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ؛ فإن الله لم يجعل أحكام الدنيا علىٰ السرائر بل علىٰ الظواهر، والسرائر تبع لها، وأما أحكام الآخرة

(١) مصنف عبد الرزاق(٨٢٤٠).

(٢) تاريخ المدينة لابن شبة (٢/ ٧٧٦).

(٣) السنن الكبرىٰ (٢٠٥٣٧).

فعلىٰ السرائر، والظواهر تبع لها، ولعل هذا يفسر لنا قول عمر: «من أسر شيئًا أخذ بسريرته، ومن أعلن شيئًا أخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر، فإنه من أظهر شيئًا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنًا»[(١)]، وقوله: «من أظهر لنا خيرًا ظننا به خيرًا وأحببناه عليه، ومن أظهر لنا شرًا ظننا به شرًا وأبغضناه عليه»[(٢)].

ومن ثم فالمعيار الذي يرجحه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأخلاق هو السلوك وتجربة الناس ومعاملتهم في هذه الحياة؛ لأن سرائرهم يعلمها الله. وحين أثنىٰ رجل علىٰ آخر أمامه سأله: «أصحبته في السفر أو عاملته؟» فلما أجاب نفيًا، قال: «فأنت القائل بما لا تعلم»[(٣)].

ومع اهتمام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالسلوك الخلقي الظاهر إلا أنه لا يهمل النية بصفتها دافعًا للسلوك الأخلاقي، وهذا ما نلحظه في كتاب عمر نفسه إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري واليه علىٰ البصرة، حينما يقول له: «من خلصت نيته في الحق ولو علىٰ نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أن ليس من نفسه شانه الله؛ فإن الله تعالىٰ لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصًا، فما ظنك بثواب عند الله عَزَّ وَجَلَّ في عاجل رزقه وخزائن رحمته»[(٤)].

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢١٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٨٦).

(٣) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن المبرد(٢/ ٧٣١).

(٤) السنن الكبرىٰ للبيهقي (٢٠٥٣٧).

ويشير قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق إلىٰ أهمية تطابق النية مع السلوك والقول مع الفعل، فيقول: «ومن تخلق للناس» أي: أظهر للناس في خلقه خلاف نيته؛ لأن قوله: «تخلق» يريد أظهر الخلق تصنعًا، ومن أظهر الخلق تصنعًا وافتعالاً بما يعلم الله أنه ليس من خلقه «شانه الله».

وبتأملنا لنموذج خلافة عمر الذي سقناه في الصفحات السابقة ندرك كيف كانت خلافة الصدر الأول -أو خلافة الخلفاء الراشدين- مثالاً للخلافة الصحيحة الشرعية، وأنها النموذج الذي تستنبط منه الأسس والمبادئ التي يجب أن يبنىٰ عليها نظام الحكم الإسلامي، وبمعنىٰ آخر: هي النموذج العملي للتربية السياسية في الإسلام.

والتربية السياسية كما بدت في حياة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت تقوم علىٰ عدة دعائم أو مقومات هي: المساواة، والعدل، والشورىٰ، وحقوق المسلم علىٰ الحاكم، وواجباته؛ فكان إذا أعياه أن يجد في القرآن أو السنة حكم ما نزل به نظر هل كان لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه رأيٌ، فإن وجد أخذ به، وإلا جمع رؤوس الناس وعلماءهم فاستشارهم، فإن اجتمعوا علىٰ أمر أخذ به. كما حرص عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ أن يوسع قاعدة العمل بالشورىٰ، فلم يقتصر علىٰ العلماء والقراء الذين كانوا أصحاب مشورته، بل كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يقتفي حدة عقولهم، وكان يستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به.

أما حقوق الرعية في اختيار الحاكم ونقده وتقويمه والاتصال المباشر به، فقد برزت في حياة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشكل واضح؛ فلم يعتبر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نقد الرعية ومحاسبتها للحاكم حقًا لها فحسب، بل كان يزيد علىٰ ذلك فيجعل أحب الناس إليه

من يواجهه بعيوبه: «أحب الناس إليَّ من رفع إليَّ عيوبي»[(١)]، ولم يعرف عنه أنه احتجب عن رعيته أو اتخذ من دونهم بابًا، وقد أعرب عن ذلك الهرمزان عندما أتىٰ به المسلمون مأسورًا إلىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو نائم في المسجد، فيسأل الهرمزان عن حراسه وحجابه، فيقولون: ليس له حارس ولا حاجب، فيقول الهرمزان: (ينبغي له أن يكون نبيًا) فقالوا: «بل يعمل بعمل الأنبياء»[(٢)].

وللرعية كذلك الحق في التعليم؛ لأنه في مقدمة الحقوق التي يجب علىٰ الرعية والحاكم في الإسلام القيام بها حتىٰ تتمكن الرعية من المشاركة السياسية بوعي وفهم، فقبل اتساع الفتوحات الإسلامية كان الراشدون يُعلِّمون بأنفسهم مع غيرهم من الصحابة، وكانوا يعلمون من فوق المنبر في المسجد وفي مجالسهم وفي كل مكان يتيسر فيه أمر التعليم، ولما اتسعت الفتوحات وانتشر الإسلام كانوا يرسلون بالمعلمين إلىٰ الأمصار، كما كانوا يعهدون بالولاية والقضاء إلىٰ كبار الصحابة حتىٰ يكون التعليم في مقدمة مهامهم الأساس.

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينص في كتبه إلىٰ المسلمين في الأمصار علىٰ أن مهمة ولاته هي التعليم؛ نرىٰ ذلك مثلاً فيما كتبه إلىٰ عامة المسلمين في الأمصار قائلاً: «إني لم أستعمل عليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم وليشتموا أعراضكم ويأخذوا أموالكم، ولكني استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم»[(٣)]، ويخطب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس

(١) محض الصواب لابن المبرد (٢/ ٥٩٣).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٤٧).
(٣) محض الصواب لابن المبرد (١/ ٣٨٣).

يوم الجمعة، فيقول: «اللهم إني أَشهَدُ علىٰ أمراء الأمصار، فإني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم»[(١)].

وكان الولاة الذين يبعث بهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الأمصار الإسلامية يؤكدون للمسلمين أن مهمتهم الأساس هي التعليم؛ نرىٰ ذلك فيما أعلنه أبو موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أرسله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واليًا علىٰ البصرة، فقال: «إن أمير المؤمنين بعثني أعلمكم كتاب ربكم وسنة نبيكم»[(٢)]. ومن ثم، فمهمة الولاة وواجبهم الأساس أن يكونوا أئمة ومربين ولا يكونوا جباة عاتين.

ولا شك أن مثل هذه الممارسات - في مختلف جوانب تربية الشخصية - قد هيَّأت لعملية التربية والتعليم مناخًا رائعًا من الحرية الفكرية، وحققت مزيدًا من النشاط والاجتهاد في مجال العلم والفقه.

(١) المرجع السابق (٣/ ٨٠٨).

(٢) سنن الدارمي، المقدمة (١/ ٤٦٣).